

الفصل الثالث الأزمات الدولية

مفهوم الأزمة الدولية

يتطلب العصر الحديث بمتغيراته السريعة وابقاع الأحداث المفاجئة في العالم من الدول المختلفة متابعة وقوع الأزمات الدولية من حيث كونها تطور سريع في العلاقات الدولية يشبه الدوامة التي تحدث في مياة البحر او النهر فتبتلع في اعماقها من لم ينتبه إليها او يتجنبها. فالأزمة الدولية عبارة عن موقف ينشأ نتيجة قيام إحدى الدول بعمل مفاجئ من شأنه تهديد الأهداف الحيوية لدولة ما أو عدة دول وبترتب عليه وجوب قيام الدولة أو الدول المهتدة بتصريف معاكس وسريع.

والأزمة الدولية هي عبارة عن ظاهرة سياسية عرفتها العلاقات بين المجتمعات الإنسانية حتى قبل أن تأخذ هذه المجتمعات شكل الدول، وقبل ان تسمى الأزمات التي تطرأ على علاقاتها بأزمات دولية.

وقد تعددت تعريفات الازمة الدولية بتعدد اراء الباحثين والمدارس ا لفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية حيث عرفها " فولتر ريموند" مؤلف قاموس المصطلحات السياسية تعريفاً واسعاً عندما حدد مفهومها على انها حدوث خلل جسيم في العلاقات الطبيعية بين الدول ذات السيادة بسبب عجزها عن حل نزاع قوائم فيما بينها مثل ازمة الشرق الاوسط، وفي رأيه ايضا ان الازمة قد تتمثل في النشاط او الانشطة الرامية إلى تهديد وجود الدولة او مصالحها الحيوية.

اما " اوران يونغ" الكاتب السياسي فوصفها بانها تداع سريع للأحداث يؤدي إلى تنشيط عناصر عدم الاستقرار في النظام الدولي او في نسقه الفرعية على نحو غير مألوف بشكل يزيد من احتمالات اللجوء للعنف(١).

اما الكاتب السياسي استير بوتشان فقد جمع في تعريفه الازمة وإدارتها معاً حينما وصفها بانهما حدوث تحد متعمد يقابله رد فعل مدروس، وفي هذه العملية يسعى كل من طرفي النزاع على توجيه الأحداث لصالحه ويمتد النطاق الزمني للازمه من فترة حدوث التحدي وصدور القرار اللازم لمواجهته وتأثير هذا القرار على الخصم ورد فعله عليه.

من ناحيتها عرفتها كورال بيل بانها وصول عناصر الصراع في ع لاقة ما إلى المرحلة التي تهدد بحدوث جذري في طبيعة هذه العلاقة مثل التحول من السلم إلى الحرب في العلاقات الطبيعية بين الدول والتفسخ في علاقات التحالف والتصددع في تماسك المنطقة الدولية(٢).

اما "وليم كوانت" فقال عنها بانها مزيج من المفاجأة والخطر وعدم اليقين.

وأخيراً عرفها مجمع سلوك الازمة الدولية بانها تعبر عن موقف ناجم عن حدوث تغيير في البيئة الخارجية او الداخلية للقرار السياسي، ويتسم هذا القرار بثلاث خصائص رئيسية في تصور السلطة العليا لصناع القرار السياسي:

١- قيام ت هديد للقيم الاساسية للمجتمع .

٢- ترجيح الدخول في مواجهة عسكرية.

٣- ادراك ان هناك وقتا محددا للرد على هذا التهديد(٣).

وهناك من المدارس من حاول الجمع بين هذه التعريفات لتغطية جوانب النقص التي إنتهجتها كل مدرسة، وهو ما عرف بالمحاولة التوفيقية التي إرتكزت في تحديدها لمفهوم الازمة الدولية على مزيا التعريفات المختلفة التي تناولتها هذه المدارس.

وقد تزعم " مايكل بريتشتر" هذا الاتجاه التوفيقى في تعريف الازمة الدولية فقال عنها بأنها عبارة عن تدهور خطير في العلاقات الدولية بين دولتين أو اكثر نتيجة تغير في البيئة الخارجية أو الداخلية لاطراف الازمة وهو تدهور يخلق لدي صانع القرار ادراكا بأن هناك تهديداً خارجياً لقيمه وأهدافه الرئيسية وسياست بلاده الخارجية ويزيد من إحتتمالات تعرض الدولة لإعمال عدائية في وقت ضيق قد لا تسمح له بالرد على ذلك التهديد(٤).

والأزمة من منطلق ذلك المفهوم هي عبارة عن موقف تتوافر له الشروط الضرورية الكافية لوقوعها والتمثلة في حدوث تغيير في البيئة الخارجية أو الداخلية الموجة للنظام العام في الدولة، سواء كان في صورة اتهامات كتلك ا لقائمة بين تركيا واليونان أو التهديد بالهجوم العسكري كما حدث بين الولايات المتحدة من جانب والحكومة العراقية من جانب اخر رداً على طرد الأخيرة المفتشيين الدوليين الأمريكيين، او اتهام دولة بالتدبير بالاعداد للهجوم العسكري، مثل الازمة التي كانت قائمة بين السودان من جانب وارتريا واثيوبيا من جانب آخر .

وقد تكون هذه التحركات في صورة اعمال سياسية مادية ملموسة مثل سعي احد الخصمين او كليهما إلى تكوين احلاف او قطع العلاقات الدبلوماسية او انتهاك التزامات جوهرية في معاهدات موقعة، وهذا ما ينطبق على تركيا في سياستها الموجة ضد سوريا في سعيها لإقامة حلف مع إسرائيل وفي الوقت نفسه إخلالها ببعض بنود الاتفاقية الموقعة بينهما بشأن المياه، وهذا ما ظهر جلياً في التصريحات التي تبادلتها القيادة السياسية في كلا البلدين خلال الفترة من يناير إلى اغسطس ١٩٩٧م.

وقد تتمثل هذه التهديدات في تطبيق او تزعم جبهة لتوقيع عقوبات اقتصادية كالحصار والحظر الاقتصادي وتأميم املاك دولة ما او رعاياها كما هو الحال في موقف امريكا ضد ايران او ليبيا او العراق او كوبا، وقد تكون ايضا في صورة تحركات عسكرية ع نيفة- وهذه اخطرها - مثل المناورات العسكرية غير العادية وتعبئة الاحتياط وتحريك القوات بالقرب من الحدود وتغيير

الوضع العسكري من الوضع الدفاعي إلى الوضع الهجومي والاستعداد لاختراق الحدود كما حدث بين الصين وتايوان وبين كوريا الشمالية والجنوبية عام ١٩٩٦م، أو قد تكون لفظية مثل التهديد الموجه للنظام الحاكم أو التحريض على العصيان واستخدام وسائل الإتصال الجماهيرية في تفويض شرعية الحكم، أو قد تكون تحديات ملموسة مثل التحريض على القيام بانقلاب وتخريب المنشآت الحيوية واثارة الفتن واعمال التمرد والمظاهرات والاعتقالات السياسية الخ.

ونخلص من ذلك إلى ان الأزمة الدولية هي الفعل أو الحدث الذي تهدف من ورائه دولة ما إلى أحداث تغيير حاد ومفاجئ في الوضع الدولي الراهن مما يشكل تهديداً مباشراً أو غير مباشر للأمن القومي لدولة اخرى أو مجموعة دول، وينتج عنه ردود افعال قد تؤدي إلى حدوث صراع مسلح أو تخلق شعوراً قوياً باحتمال حدوث الحرب.

وحقيقة الأمر أن مصطلح الأزمة في العلاقات الدولية هو مصطلح نسبي فقد يصف بعض المراقبين علاقة ثنائية بين دولتين بأنها تمر بأزمة بينما قد لا يصفها البعض الآخر بهذا الوصف اعتقاداً منهم بأنه مبالغ في ردود الأفعال، أو لأنهم يرون في هذا الوصف للعلاقة بين الدولتين المتنازعتين تصعيداً للوقف من شأنه أن يؤثر عليهم أو يورطهم في أزمة لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

وهنا تبرز أهمية التمييز بين مصطلح الأزمة في السياسة الخارجية لدولة ما، ومصطلح الأزمة الدولية عامة وذلك لما يعكسه هذا التمييز في الواقع من إختلاف في مناهج البحث العلمي. فبينما نرى أن أزمة السياسة الخارجية لدولة ما تعود أساساً إلى منهج وأسلوب صنع القرار في هذه الدولة، نجد أن الأزمة الدولية عادة ما ترجع إلى المنهج الخاص بتحليل النظم السياسية الدولية بصفة عامة. والأزمة في الحالة الأولى هي عبارة عن موقف يواجه صانع القرار في دولة ما ويرى فيه تهديداً للقيم والمصالح العليا لدولته وينطوي على عنصر المفاجأة، وتتخلص المشكلة بالنسبة له في كيفية مواجهة هذا الموقف في أسرع وقت ممكن. أما الأزمة في الحالة الثانية فقد تشترك فيها أكثر من دولة وتتم إدارتها أحياناً بإرادة خارجية وفقاً للظروف الدولية المحيطة كما حدث في حرب الخليج الثانية.

ويختلف مفهوم الأزمة الدولية عن مفهوم الصراع الدولي، خاصة وأن كلمة الصراع غدت شائعة في العلاقات بين الدول وأصبحت تطلق على أوضاع كثيرة وغدت كذلك تقترن بإعتبارات مرتبطة بالإحساس بالخطر تقتله الدول أحياناً لتحقيق مكاسب أو أهداف سياسية.

وظاهرة الصراع هي إحدى حقائق العلاقات الدولية منذ فجر التاريخ، فلا غرابة أن تمثل قضية السيطرة على الصراع أو ضبطه هي الأخرى أزمة الوجود الإنساني على مدى الدهور، وخاصة في الوقت الحاضر في ظل رعب الأسلحة النووية والكيميائية والجرثومية، وذلك حظيت الدراسات الخاصة بالصراعات الدولية بإهتمام كبير وإن اختلف الباحثون حول الهدف والمناهج والنظريات.

ولا توجد حتى يومنا هذا نظرية متكاملة للصراع في مختلف فروع العلوم الإنسانية، إذ إن كل فرع منها يبحث في جانب من جوانب الصراع، ويسهم بقدر كبير في فهم هذا الجانب أو ذلك وتقييمه وفقاً لمعايير محددة وطريق بحث خاصة ويمكن كذلك القول - بصفة عامة - إن مفهوم الأزمة يختلف عن مفهوم الصراع مثلما يختلف مفهوم الأزمة عن مفهوم التنافس - فقد يقوم التنافس بين طرفين للحصول على موارد معينة ولكن دون أن يعمل أحدهما على منع الطرف الآخر من تحقيق أهدافه، إما لعدم إدراكه لهذا التنافس، أو لعدم مقدرته على تصرفات منافسه.

ولا يتحول التنافس إلى مرحلة الأزمة إلا عندما يتجه أحد الأطراف إلى تقوية مركزه ومنع الأطراف الأخرى من ذلك، أي إخراجها من نطاق المنافسة.

كما يختلف مفهوم الأزمة الدولية عن مفهوم التوتر الذي يتضمنه الشعور بالعداء أو الخوف أو التشكك، إذ أن التوتر حالة نفسية تنتج عن إدراك لاختلاف المصالح بين طرفي أو أكثر، أما الأزمة الدولية فتتجاوز ذلك لتأخذ شكل معارضة صريحة وفعلية. وبعبارة أخرى فإن التوتر يسبق الأزمة ويظل دائماً مصاحباً لها، وعادة ما يبقى محصوراً في نطاق الإدراك والوجدان، ولكن ليس بالضرورة انعكاساً لأزمة أو مؤدياً إليها لأنه لا يتعارض دائماً مع التعاون، فمثلاً قد تمر العلاقات داخل تحالف معين بحالة من التوتر لإختلاف وجهات النظر بين أعضائه، ولكن هذا التوتر قد لا يتبلور حتماً في صورة أزمة. وإذا ما بلغ التوتر درجة من الحدة، فقد يكون عاملاً من عوامل حدوث الأزمة حيث إنه يؤثر على عملية اتخاذ القرار.

كذلك يجب التمييز بين مفهوم الأزمة ومفهوم النزاع، فلفظ نزاع هو لفظ تقليدي ارتبط بمفهوم قانوني يتعلق بحقوق والتزامات الدول. أما مفهوم الأزمة فهو أوسع نطاقاً لأنه يتعلق بقوة أحد أطراف الأزمة وقدرته على فرض رأيه بصرف النظر عن التكيف القانوني لموضوع الخلاف، فالفارق بين النزاع والأزمة هو الفارق نفسه بين الحق والقوة.

صناعة الأزمة

بقراءة عامة لأسباب الأزمات الدولية نجد أن من أسوأ السيناريوهات المطروحة و التي لا يتمنى المجتمع الدولي حدوثها هو سيناريو لجوء دولة ما للتهديد باستخدام القوة أو إصدار بيانات باحتمال اللجوء إليها ضد دولة أخرى لحل مشاكل عالقة بينهما، مما يؤدي على خلق أزمة دولية، خاصة إذا واکب ذلك جوء الدولة البادئة بالأزمة إلى أساليب تصعيدية كحشد القوات المسلحة على الحدود أو إجراء مناورات عسكرية أو إعلان حالة الطوارئ أو حدوث إشتباكات عفوية أو محددة قد تشعل حرباً لا يدرك أي من الطرفين مدى أبعادها.

وحيثما تلجأ هذه الدولة أو مثيلاتها إلى هذا الأسلوب العدوانى، فإنها تتوخى الحصول على نتائج سريعة وتحقيق مكاسب تعجز الوسائل الدبلوماسية عن تحقيقها، مما يدفعها إلى تخويف الطرف الآخر وإرغامه على تقديم تنازلات لم يكن يرغب فيها.

وقد يعمد ا لطرف المسبب للأزمة وهو في سبيله إلى تحقيق مأوبه إلى نقض الإنتفاقيات ومعاهدات عدم اعتداء مع دول يخشي أن تساند الدولة التي بيت النية لإشعال فتيل الأزمة معها كي يستفرد بضحيتته فلا تجد من يساندها. أما الدولة الضحية فإنها غالباً ما تلجأ إلى أسلوب التهذئة وإستصراخ دول العالم لمساندتها، خاصة تلك الدول القوية المرتبطة معها باتفاقيات أو مصالح مشتركة، أو أنها قد تلجأ في مرحلة من مراحل اليأس إلى تقديم بعض التنازلات لعلها تدفع بذلك ضرراً واقعاً لا محالة.

أما أسلوب صناعة الأزمات فهو يبدأ في التبلور حينما تسعى دولة متمرة سعياً حثيثاً لصناعة أزمة، وذلك حينما يسيل لعابها طمعاً في استعمار غيرها واغتصاب ما لديها من ثروات أو خيرات أو مواقع إستراتيجية متميزة، فتسعي إلى اختلاق أزمة للإيقاع بها في شراك تكون هياتها في وقت سابق. وعادة ما تقوم بالتمهيد للأزمة عن طريق إطلاق سيل من الإشاعات والأكاذيب ال موجة للدولة الأخرى أو قادتها وتشويه المواقف وتفسير الحقائق التاريخية والسياسية تفسيراً يخدم أغراضها ويزعزع ثقتها بنفسها، ثم تنتقل في صناعتها للأزمة بعد ذلك إلى مرحلة جديدة هي مرحلة تكثيق الضغط علي صانع القرار في الدولة الخصم وتأييب دول أخرى ضده ومحالة التضيق عليه لكسب دولة مؤيدة لصانع الأزمة ولتنتسج الجبهة التي يواجهها خصمه، فيتكاثر أعداؤه ويحار في أمره وتضعف قدرته على المقاومة، وهو ما يحاول " شارون" أن يفعله مع "عرفات" الآن.

ثم يلجأ صانع الأزمة بعد ذلك إلى أسلوب التخفيف من حدة الضغط ليعود بين الأمل واليأس والتزقب والإحباط، أو يدفعه ذلك الأسلوب إلى ا تحاخذ قرارات طائشة غير مدروسة تجعل منه هدفاً لمنافسيه السياسيين في الداخل.

وأخيراً يقوم صانع الأزمة بجر عدوه إلى فخ كان قد أحكم نصبه فيفتعل حادثاً يتم التوقيت له توقيتاً مناسباً لا يجد ذلك العدو المستهدف فراراً منه إلا بالرضوخ لإبتزاز صانع أزمته أو الدخول معه في مواجهة غير مضمونة النتائج.

وبعد أن يتمكن صانع الأزمة من الحصول على مكاسب أولية كإحتلال بعض أراضي الخصم أو سلب بعض الأمتيازات منه يقوم مرة أخرى بتهذئة الأوضاع وتخفيف حدة التوتر وربما الإستجابة لبعض المطالب الهامشية لشعب الدولة الخصم وذلك لإمتصاص النقمة ولتجاوز شعوره بالخسارة والإهانة ولفرض أمر واقع على الأطراف الخارجية، وبعد ذلك يقوم بتنفيذ المرحلة الأخيرة من مخططاته وهي مرحلة امتصاص ثروات الدولة الضحية، أو دمجها كلياً أو جزئياً في كيانه إذا وسعه الأمر ذلك.

وهذا الأسلوب الجائر هو أسلوب قادة إسرائيل المدروس في صناعة الأزمات مع العرب الذين استعاروه من هتلر والذي قلد فيه طغاة التاريخ وبعغاته، فقد عمد هتلر في عام ١٩٣٩م إلى

تصوير غزوه لبولندا على أنه حالة دفاع عن النفس، بينما كانت في حقيقة الأمر تحاول انقاء شره. ولكن هتلر مضي في خطوات صناعته للأزمة مع بولندا إلى أن وصل إلى مرحلة الحادث المفتعل الذي سبق ذكره آنفاً، فأخذت قواته في الليلة السابقة لغزوة ١٢ سجيناً بولندياً من معسكر إعتقال ألماني وألبستهم ملابس عسكرية بولندية ثم ألفت بجثثهم على مقربة من الحدود البولندية حتى يتم تصوير الأمر وكأنه محاولة عسكرية بولندية لإخترق الحدود الألمانية، ولكن تم إحباطها بواسطة القوات الألمانية.

ثم قامت قوات ألمانية خاصة ترتدي الزي العسكري البولندي بمهاجمة إذاعة ألمانية كانت تبث برامجها من مكان قريب من الحدود البولندية، فقتلت الحراس الألمان الذي كانوا يحرسون الإذاعة ولن تذر منهم إلا حارساً واحداً مثخناً بجراحه ليروي لوكالات الأنباء العالمية والمحلية كيف قتلت القوات البولندية زملاءه، ولم تكن تلك القوات في حقيقة الأمر إلا قوات ألمانية ترتدي ملابس عسكرية بولندية هاجمت الإذاعة وتركت في موقع الحادث أسيراً بولندياً تم إصطحابه من المعتقل إلى موقع الحادث ليذيع بياناً يعلن فيه بداية غزو بولندا للحدود الألمانية ثم يقتل بعد ذلك. وكانت تلك الحادث المفتعلة التي وقعت ليلة ١/٩/١٩٣٩م هي مبرر هتلر للهجوم على بولندا، والتي جرت ورائها الحرب العالمية الثانية (٥).

إن مفهوم صناعة الأزمة الذي تجيده بعض الدول لتحقيق توسع عسكري أو الحصول على منافع أخرى يشبه مفهوم آخر هو الإدارة بالأزمات، وهو أسلوب يلجأ إليه بعض ساسة الدول للهروب إما من أزماتهم الشخصية أو من أزمات دولهم عن طريق إشعال فتيل أزمات أخرى للآخرين...

فما هو مفهوم الإدارة بالأزمات؟

صناعة الأزمات والإدارة بالأزمات

قد يكون مفهوم الإدارة بالأزمات غريباً لكن بعض الدول تلجأ إليه لحل أزماتها المستفحلة. وقد يثار تساؤل هو كيف يمكن لدولة أن تحل أزماتها بإشعال أزمة أخرى..؟ إذ العكس هو المتوقع حدوثه، فالكل يسعى للحد من تصاعد الأزمة وتفاقمها واللجوء إلى كافة التدابير و الخطوات الدبلوماسية وممارسة الضغوط التي من شأنها إجبار الخصم على القبول بالحلول المطروحة.

والواقع أن بعض الدول تلجأ لافتعال أزمة لحل أزمة أخرى وذلك حينما تشعر أنها بحاجة إلى تعزيز وضعها الداخلي أو إشغال الرأي العام المحلي ومحاولة صرف أنظاره وإبعاده عن التفكير في أزمة الحقيقة، وهذا ما فعلته حكومة صدام حسين في العراق بعدما ضاقت بها السبل بسبب محاولتها التملص من تطبيق قرارات الأمم المتحدة بعد غزو الكويت مما جعلها في أزمة دائمة مع الأمم المتحدة، فحاولت اختلاق أزمة جديدة مع المفتشين الأمريكيين العاملين ضمن فريق التفتيش الدولي لصرف الأنظار عن الأزمة الحقيقية من ناحية ولحمل الشعب العراقي على كرهه عدو بديل (أمريكا) بعيداً عن عدوه الحقيقي (نظام حكمه) من ناحية أخرى.

وقد تلجأ بعض الدول الأخرى - في سعيها لتحقيق مصالحها القومية - إلى إفتعال أزمة والتخطيط لها ومحاولة تصعيدها، خاصة عند شعور تلك الدولة بالغبن أو محاولة فرض أمر واقع عليها مثل احتلال أراضيها بالقوة، وأقرب مثال على ذلك الخيار الذي طرح على الرئيس المصري الراحل " أنور السادات" عقب حرب ١٩٦٧ وقبل حرب ١٩٧٣ حيث إقتراح عليه القيام بحرب عسكرية محدودة لا تهدف إلى إستعادة الأراضي ولكن لمجرد تحريك الأمور بحيث نشير الرأي العام العالمي بدرجة تجبره على القيام بجهد جديد وفعال لتحريك عملية السلام في الشرق الأوسط (٦).

ولكي ينجح أسلوب الإدارة بالأزمات فلا بد من توافر شروط مهمة وضرورية أهمها:

١- وجود تفاوت كبير في ميزان القوى لصالح مدبر الأزمة حتى يتم إجبار الطرف الآخر على التسليم تجنباً لصراع يعرف هذا الطرف أنه ليس في صالحه، وهذا أمر شائع تحاول الدول العظمى فرضه على الدول الصغرى ليقينها أنه لا مفر أمامها في النهاية إلا الإذعان والقبول بمعظم الشروط إن لم يكن كافتها.

٢- إقتناع الطرف الأضعف في الأزمة اقتناعاً تاماً بأن الطرف الأول سيكبد خسائر فادحة- حالة تنفيذه لتهديده وعدم إذعانه لشروطه، إلا أن الأمور قد تتقلب رأساً على عقب فتنتكس الأحوال إذا أكتشف الطرف الآخر في الأزمة أن غريمه ليس جاداً في تهديده، أو ليست لديه القوة الكافية لتنفيذ هذا التهديد وهذا ما حدث في يونية ١٩٦٧م حينما تأكدت لإسرائيل أن الحشود المصرية في سيناء لم تكن سوى تهديد فقط وأن عبدالناصر لم يكن يعتزم الدخول في حرب معها فبادرت بشن الحرب، وهو الأمر الذي أكده فيما بعد مناحم بيغين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بنفسه حينما قال في أحد تصريحاته: يجب علينا أن تكون أمناء مع أنفسنا وأن نعترف بأن الحشود المصرية في سيناء عام ١٩٦٧ لم تكن دليلاً على أن عبد الناصر كان يرغب حقيقة في غزونا، ولكن نحن الذين قررنا القيام بهجوم ضده وأننا كنا نعرف يقيناً أن حشد القوات في سيناء ليس إلا عملاً استعراضياً" (٧).

خلاصة القول إن الإدارة بالأزمات وإن كانت فعلاً متعمداً من أحد اطراف الأزمة بهدف تغيير مسار الأزمة الحقيقية إلا أن ذلك لا يعني نجاحه ، إذ قد تتحو مسارات الأزمة وتطوراتها منحي آخر عكس ما هو مخطط ومرتب لها، وقد تفلت كل الأمور من يد صانع القرار وتتقلب عليه وتكون ذريعة يستغلها الطرف الآخر في الأزمة، ومن ذلك مسلسل الأزمات التي افتعلها "هتلر" في الثلاثينيات مما أفتع بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتي بنوايا النازية الحقيقية فشكلت تكتلاً في قوة واحدة ضد " هتلر" وكانت أحد الأسباب الرئيسية في هزيمته في هذه الحرب.

بداية دراسة ظاهرة الأزمات الدولية

بدأت دراسة ظاهرة الأزمات الدولية دراسة جدية في عصرنا الحديث مع نهاية أزمة الحرب العالمية الأولى التي انطلقت شرارتها الأولى في البوسنة عام (١٩٠٨-١٩٠٩) وكانت تلك الحرب قد بدأت عندما خشيت امبراطورية النمسا والمجر وقتئذ من تنامي مطالب القوميات الراقدة تحت عباءتها بالاستقلال، مما شكل في نظرها تهديداً خطراً لكيانها وتماسكها، فحرصت على عدم التهاون والوقوف بصلاية شديدة أمام مطالب الصرب خاصة بعد أن تعهدت ألمانيا للنمسا والمجر بمساندتهما إذا ما تدخلت روسيا لصالح الصرب، ومن ناحية أخرى فقد أبدت فرنسا وإنجلترا مخاوفهما من تنامي قوة الأسطول الألماني إلى الحد الذي يمكنه من تهديد سيادة بريطانيا على البحار. ثم جاء مصرع ولي عهد النمسا في مدينة " سراييفو " ليمثل الشرارة التي دفعت بهذه الأزمات جميعاً إلى التلاحم محدثة انهيار النظام الدولي الذي كان قائماً في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وهو الوضع الذي يطلق عليه مصطلح تداعي الأزمات. وكانت تلك هي بداية اكبر أزمة آنذاك وهي أزمة ما قبل اندلاع تلك الحرب عام ١٩١٤ بين ألمانيا والنمسا والمجر والامبراطورية العثمانية من جهة، وإنجلترا وفرنسا وروسيا وبلجيكا وصربيا والجبل الأسود واليابان من جهة أخرى.

واستمرت وقائع الحرب إلى أن قامت ألمانيا بإحتلال بلجيكا ثم تقدمت نحو باريس، واستمرت حرب خنادق بعد ذلك إلى عام ١٩١٦، ومن ناحية أخرى هاجم الالمان الروس وهزمهم في معركتي " تاننبرج " و"بحيرات مازور" وفي عام ١٩١٥م تحالفت بلغاريا مع ألمانيا وتحالفت إيطاليا مع الحلفاء ثم انضمت إليهم البرتغال ورومانيا في عام ١٩١٦، كما حارب اليونانيون إلى جانب الحلفاء ضد الالمان في معركة "سالونيك" وكان الالمان قد أغرقوا سفينة أمريكية عام ١٩١٥م، فأعلنت أمريكا الحرب على ألمانيا عام ١٩١٧م ودخلت قواتها فرنسا ولكنها لم تشترك في القتال إلا في عام ١٩١٨ في معركة " شاتو تيري" وفي السنة نفسها التي أعلنت فيها أمريكا الحرب على ألمانيا قامت ثورة عربية ضد تركيا حليفة ألمانيا عام ١٩١٦م فسقطت بغداد وبيت المقدس، وفي تاريخ ١١/١١/١٩١٨م أعلنت كل من تركيا والنمسا والمجر وبلغاريا الإستسلام وقامت ثورة في ألمانيا فوقعت هدنة في " كومبين " ثم تلت تلك الهدنة عدة معاهدات مثل معاهدة " فيرساي " و"سانت جرمين" و" تريانو " وغيرها بعد فقدان أكثر من عشر ملايين قتيل و ٢٠ مليون جريح، وكذلك بعد تغيير حدود بلدان كثيرة في أوروبا وآسيا، فأنشئت عصبة الأمم حتى لا تتكرر تلك الحروب والكوارث والأزمات الدولية، ثم بدأت البحث في ظاهرة الأزمات " الدولية " والاهتمام بها بصورة واضحة، وذلك لتفادي الأهوال التي أسفرت عنها هذه الحرب. وحاول الباحثون البحث عن أسباب الصراع الدولي بغية إستئصالها حتى لا تتكرر مرة أخرى. وبدأ التفكير جدياً في ما يسمى بالسلام العالمي ووضع نظام أو دستور تلتزم به الدول في سلوكياتها وعلاقتها في ما

بينهما على نحو يكبح جماح التطلعات غير المشروعة والسلوك غير المسئول الذي قد ينجم عنه حدوث صدامات مسلحة.

ولكن تلك الدراسات والمحاولات من ناحية وإنشاء عصبة الأمم بعد الحرب من ناحية أخرى لم تؤدي إلى نتائج ملموسة في تحقيق السلام ، بل إن تلك الجهود أصيبت بانكاسة أخرى حينما بدأت تظهر ملامح أزمة عالمية جديدة باتت تلوح نذرها في الأفق، وكانت تلك بداية الحرب العالمية الثانية. فقد بدأت ألمانيا في تحقيق أطماعها التوسعية مرة أخرى منذ عام ١٩٣٨م، وإجتاحت جيوش هتلر " تشيكوسلوفاكيا" وأعلن هتلر قيام تحالف نازي سوفيتي تقوم بموجبه الدولتان بتقسيم بولندا بين روسيا وألمانيا، فأعلنت بريطانيا وفرنسا بعد إحتلال النازيين لبولندا الحرب على ألمانيا، فما كان إلا أن تقدمت الجيوش الألمانية نحو أوروبا في ١٠/٦/١٩٤٠م، ووقع هجوم ألماني كاسح على فرنسا لم يستمر سوى أسبوع واحد إنهزمت بعده فرنسا ووقعت اتفاقية هدنة مع ألمانيا. وقد أدبى ذلك إلى اختلال ميزان القوى وأصبح الخطر الألماني يهدد إنجلترا ويلوح من بعيد ليجتاح روسيا بعد ذلك.

وعلى الجانب الآخر من المحيط الهادي نجد صورة أخرى حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على جزر الهاواي والفلبين وعلى بعض دول أمريكا اللاتينية بينما كان الهولنديون يسيطرون على منطقة جزر الهند الشرقية التي تعرف اليوم بأندونيسيا ، وكان الفرنسيون يسيطرون على الهند الصينية التي تعرف اليوم بكمبوديا الديمقراطية وفيتنام ولاوس ، وفي حين أن البريطانيين كانت لهم السيطرة على الهند وبورما وهونج كونج وماليزيا إلى جانب سيطرتهم مع الفرنسيين على أفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط.

ومن ناحية أخرى فقد غمرت اليابانيين في تلك الفترة نزعة توسعية تهدف إلى القضاء على الرجل الأبيض في آسيا، بينما كانت روسيا ضعيفة آنذاك، ليست لديها أطماع سياسية أو توسعية، فوجد اليابانيون فرصتهم بعد هزيمة فرنسا أمام الألمان وانشغال بريطانيا في الحرب ضد " هتلر" فاتجهوا إلى جنوب شرقي آسيا ولكنهم لم يفلحوا في حربهم مع الصين فلجأوا إلى خيارات أخرى في الهند الصينية وشنوا هجمات على سنغافورة والفلبين وأندونيسيا، كما وقعوا معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتي الذي كانت يستعد لصد الهجوم النازي في صيف ١٩٤٠م، كما لجأ اليابانيون إلى توقيع ميثاق دفاع ثلاثي بينهم وبين الألمان والأيطاليين يلتزمون فيه بمساندة بعضهم إذا ما تعرض أحدهم لهجوم خارجي.

وفي أبريل ١٩٤١م، غزت جيوش " هتلر" روسيا ووصلت القوات الألمانية إلى أبواب موسكو مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى التحرك بعد أن كانت إلى أبواب موسكو مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى التحرك بعد أن كانت إلى تلك الفترة بعيدة بعض الشيء عن الدخول في مواجهات مباشرة مع ألمانيا أو اليابان، فقامت باحتلال أيسلندا وهو الأمر الذي مكن القوات

البريطانية من التفرغ لمواجهة الألمان في الشرق الأوسط. وهكذا دخلت أمريكا الحرب بعد أن أنهكت تلك الحرب بريطانيا وروسيا اللتان دفعتهما ثمناً باهظاً نتيجة صمودهما أمام " هتلر " ويكفي أن نذكر هنا أن روسيا فقدت عشرين مليون رجل من جنودها وما يقرب من نصف طاقتها الانتاجية.

وقد أصرت الولايات المتحدة من ناحية أخرى على إنسحاب اليابانيين من الصين، ولكنهم تجاهلوا التحذير الأمريكي فقامت أمريكا بتجميد لأرصدة اليابانية في بنوكها مما أدى إلى حصار اليابان إقتصادياً وشل قدرتها على شراء البترول أو السلع الضرورية. ولم تجد اليابان للخروج من هذا المأزق إلا خيارين هما: إما عقد اتفاقية مع أمريكا مقابل الإنسحاب من الهند الصينية أو الدخول في حرب مع أمريكا.

وقد أختار اليابانيون في بداية الأمر التوصل لحل وسط مع الأمريكيين ولكنهم فشلوا في مسعاهم، فلم يجدوا منفذاً لهم إلا الحرب حيث هاجموا " بيرل هاربر " في ٧/١٢/١٩٤١م، وكذلك شنوا هجوماً على الفلبين وماليزيا وتايلاند وأندونيسيا في ٨/١٢/١٩٤١م، فأعلنت أمريكا وبريطانيا الحرب على اليابان.

وفي غمرة إنهماك الدولتين في القتال مع اليابانيين أعلن " هتلر " في تاريخ ١١/١٢/١٩٤١م الحرب رسمياً على الولايات المتحدة التي رمت بنقلها لمواجهة الألمان واليابانيين في آن واحد، وإستخدمت أمريكا لأول مرة في تاريخ العالم السلاح النووي ضد اليابان رداً على هجومها على " بيرل هاربر " وأسدت بذلك الستار على الحرب العالمية الثانية (٨).

وما يهمننا من هذا العرض التاريخي الموجز لأحداث الحرب العالمية الثانية هو أن دول العالم عادت إلى الإقتناع مرة أخرى بأن هذه الفوضى العالمية التي ما إن تخرج العالم من أزمة حتى تولج في أزمة أخرى ستؤدي في النهاية إلى فناء البشرية إذا ما استمر الأمر على ما هو عليه، وإذا ما استمر تكديس الأسلحة وتطويرها، وخاصة أسلحة الدمار الشامل، فاجتمعت كي تضع حداً لتلك الأزمات وتم إنشاء هيئة الأمم المتحدة لتخلف عصبة الأمم التي لم تكن قادرة على درء الحروب، وازدهرت الدراسات التي تركز على ظاهرة الأزمات الدولية ومسبباتها وسبل الحد منها أو جعلها في أضيق الحدود (٩).

وشهدت هذه الفترة وما بعدها اختفاء ما كان يسمى بظاهرة تداعي الأزمات بمعنى أن حدوث أزمة في إحدى دول منطقة دولية معينة يستتبعه حدوث أزمات أخرى في باقي دول المنطقة. ويعود السبب الرئيسي في اختفاء هذه الظاهرة في تلك الفترة وما بعدها إلى ظهور الرادع النووي الذي تم استخدامه خل الحرب العالمية الثانية لأول مرة مما حدا بجميع الأطراف الدولية إلى التفكير جدياً قبل الإقدام على أية مغامرة غير محسوبة، ليقينهم التام بفداحة ثمن مثل هذا التصرف الذي لا يقل عن الدمار المحقق. وبناء على هذا فإن أبرز ما يميز سمات الأزمات

الدولية بعد الحرب العالمية الثانية أنها أزمات مدروسة ومحسوبة العواقب سواء في تصعيدها أو في إدارتها، كما أصبحت حرية الأطراف في تصعيدها على المستوى العالمية أو الإقليمي غير مطلقة.

وجاء عام ١٩٦٢م لتبرز معه بوادر أزمة دولية جديدة وهي أزمة الصواريخ الكوبية" التي ترجع جذورها إلى تدخل الأتحاد السوفييتي في كوبا عام ١٩٦١م ومساعدتها إقتصادياً وعسكرياً وذلك لإضعاف سياسات الأحتواء وتدابير الحظر الاقتصادي التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد كوبا، وشاركتها في ذلك الدول الحليفة للولايات المتحدة مستهدفة إسقاط نظام " فيديل كاسترو" وبالتالي تصفية قاعدة تصدير الشيوعية في منطقة أمريكا اللاتينية.

وقد أشتملت المساعدات العسكرية السوفيتية لكوبا على إقامة قواعد لإطلاق الصواريخ داخل الأراضي الكوبية وإرسال مجموعة من الفنيين العسكريين السوفييت الذين انيطت بهم مهمة تشغيل تلك القواعد. وقد أحدثت المبادر السوفيتية رد فعل عنيف تركيب قواعد للصواريخ النووية في كوبا من تهديد خطر ومباشر للأمن القومي الأمريكي.

وفي أغسطس عام ١٩٦٢م - وكرد فعل على مضاعفة السوفييت لشحنات الاسلحة إلى كوبا- قامت الولايات المتحدة بتصعيد مواجهتها للسوفييت محددة خياراتها في ما يلي:-

١- القيام بهجوم مباشر ضد كوبا على أ، يسبقه هجوم جوي لتدمير قواعد الصواريخ وقاذفات القنابل السوفيتية .

٢- الاكتفاء بتدمير هذه القواعد السوفيتية دون أ، يمتد الأمر إلى الهجوم الشامل.

٣- فرض حصار بحري حول الشواطئ الكوبية والإستمرار في ذلك إلى أن يتخذ الرئيس السوفييتي آنذاك " خروتشوف" قراراً بسحب الصواريخ من كوبا.

وإنتهي الأمر بقبول الزعيم السوفييتي " خروتشوف" العرض الأمريكي بسحب الصواريخ السوفيتية من كوبا وترحيب أمريكا في المقابل بقبوله ذلك العرض، وهكذا تبددت إحتتمالات المواجهة وزال شبح الرعب النووي ا لذي خيم على العام بأسره طوال تلك الفترة العصيبة التي استغرقتها الأزمة.

وبدأ معها موضوع دراسة الأزمات الدولية بنحو نوحاً علمياً منهجياً في جميع المجالات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية أكثر من أي وقت مضى، فكانت هذه الأزمة بمثابة بداية عصر دراسة الأزمات كعلم وفن، وذلك لما أبرزته من مفاهيم جديدة لم تكن واضحة من قبل ، حيث أكد نجاح حل هذه الأزمة على الأهمية الفائقة لدور الاتصالات في إدارة الأزمات وعلى ضرورة فتح قنوات للاتصال المباشر والفوري لحل الأزمات الدولية، وهو الأمر الذي قامت به كل من واشنطن وموسكو حين فتحتا خطأً ساخناً بين العاصمتين، وهو الخط الذي أثبت فاعليته

فيما بعد في تجاوز أزمات عديدة ووقف تصعيد الموقف بينهما مثلما حدث أثناء أزمته الشرق الأوسط في عامي ١٩٦٧ - ١٩٧٣.

وقد حظيت أزمة الصواريخ الكوبية هذه باهتمام بالغ لدى الباحثين في الأزمات الدولية باعتبارها النموذج الأمثل لإدارة الأزمات ، ونظروا إليها على أنها إشارة البدء لانطلاق الحج=هد الأكاديمي نحو تأصيل مبادئ إدارة الأزمات، وبها تؤرخ تاريخ دخول هذه المصطلح إلى قاموس العلاقات الدولية حينما أطلق " روبرت ماكنمارا" وزير الدفاع الأمريكي في إدارة الرئيس الأسبق كندي جملته الشهيرة " لم يعد هناك بعد الآن - مجالاً للحديث عن الاستراتيجية وإنما عن إدارة الأزمات فقط.

وقد جاء تعقيب " ماكنمارا" هذا نتيجة لنجاح الجهود الدبلوماسية في إدارة هذه الأزمة ، وليؤكد على أهمية دور إدارة الأزمات في تجنب ويلاتها، وما كان يمكن للإخفاق في إدارة هذه الأزمة أن يتسبب في دفع العالم إلى هاوية الدمار النووي. حيث قدرت الخسائر البشرية المحتملة لحدوث هذه الكارثة ما بين (٣٢-٥٠%) من تعداد سكان المعسكرين المتنازعين، ناهيك بالخسائر الأخرى.

كما تراوحت فرص النجاح في إدارة هذه الأزمة ما بين (٢٧- ٥٠%)، إلا أن النجاح في إدارتها أنقذ البشرية من ويلات نوبيه كانت واقعة لا محالة ومن عواقب وخيمة كان يمكن أن تترتب على الفشل في التوصل لحل لها، مما يدل على حاجة كل دولة مهما كانت متخلفة إلى الوقوف على كل ما يتصل بإدارة الأزمات من القواعد والاستراتيجيات والحوارات حتى تجنب نفسها وغيرها من الدول عواقب الطريق المسدودة.

إدارة الأزمة الدولية

لا يمكن تحديد مواصفات معينة أو إتباع منهج علمي شامل لتطبيقه على جميع الأزمات الدولية، فالأزمات الدولية تختلف باختلاف أسبابها أو تفاصيلها الخاصة بها إلا أن ذلك لا يمنع من وجود سمات مشتركة تشترك فيها الأزمات مع غيرها مما يؤدي إلى وجود تشابه في أساليب معالجتها. ومن ناحية أخرى فإن ما يميز أزمات ما قبل انتهاء الحرب الباردة عن أزمات لفترة التي تلتها هو أن لأزمات تلك الفترة قواعد وأسساً وضوابط ألتم بها القطبان الكبيران وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سابقاً، كما ألتمت بها منظمة الدول التي تدور في فلكهما وكذلك دول عدم الانحياز ودول العالم الثالث.

أما فترة ما بعد الحرب الباردة والتي نعيش أيامها الآن فقد غيرت روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي سياستها وبالتالي أسلوبها في معالجة الأزمات وانشغلت في حل أزماتها الداخلية ولم تعد الولايات المتحدة الأمريكية خصمها اللدود بل الشريك في حل الأزمات العالمية وحتى الداخلية.

وفي ذلك السياق حدد الرئيس السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشوف سياسة بلاده الجديدة حينما أصدر تعليماته للقيادة السوفيتية عام ١٩٨٧م بتغيير إستراتيجيتها من مواجهة حلف الناتو والولايات المتحدة الأمريكية إلى إستراتيجية الاكتفاء بقوة عسكرية للدفاع عن الاتحاد السوفييتي. إلا أن ذلك الانفراج في التوتر بين القطبين أدي من ناحية أخرى إلى بروز ظاهرة جديدة هي أحساس منظمة الدول التي كانت مرتبطة بالاتحاد السوفيتي وأخذت تلك الدول تشعر بحرية أكبر في اتخاذ قراراتها وتحديد أصدقائها وأعدائها ومصالحها الخاصة بعيداً عن القطب الذي كانت تسير في فلكه، مما أدى إلى وأد أزمات سابقة وإحياء أزمات ماضية.

وإذا كان الوضع الجديد ساهم في تخفيف حدة التوتر بين القطبين الكبيرين وابتعد عنهما وعن العالم شبح حرب نووية لا تبقي ولا تذر إلا أن مخاوف جديدة بدأت تبرز على الساحة العالمية وتقلق صناعات القرار في العالم وتندد بحدوث أزمات لا يمكن السيطرة عليها، ومن أبرز تلك المخاوف الخوف من امتلاك دول عديدة لأسلحة الدمار الشامل وهو الخوف الذي دفع الدول الكبرى إلى الحث على توقيع اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية.

وبدأت الدراسات المتعلقة بإدارة الأزمات تولي موضوع أسلحة الدمار الشامل والأزمات الدولية المتعلقة بها اهتماماً بالغاً خاصة وأن الهدف المرجو من توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية لم يتحقق وأن الجهود المبذولة لمنع الحكومات من امتلاك الخبرة الكافية لإنتاج مثل هذا السلام الفتاك لم ت حقق شيئاً، بل أخفقت حتى الآن في منع دول من السعي للحصول عليه أن لم يكن امتلاكه فعلاً، ويرى أولئك الباحثون ذلك واضحاً في محاولات بعض الدول مثل كوريا الشمالية والعراق ناهيك بدول أخرى ممتعة عن التوقيع على تلك المعاهدة كإسرائيل وغيرها.

وكان الجنرال " جيمس كلاير " مدير الاستخبارات في وزارة الدفاع الأمريكية قد توقع ان نهاية القرن العشرين يمكن ان تشهد امتلاك بلدان عديدة قدرات على تجهيز رؤوس القذائف الكيماوية او الجرثومية أو النووية، وتعتقد وزارة الدفاع الأمريكية أن بعض الدول لديها القدرة على تصميم رؤوس نووية تفجر تلقائياً فتحدث أضراراً هائلة، وقد زاد خوف الباحثين من وقوع هجمات إرهابية تستعمل فيها أسلحة الدمار الشامل إذ أنه أصبح من السهل على الأسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية أن تنفذ عبرة حدود أية دولة إذا ما أحسن إخفاؤها كما أن حدوث عمليات إرهابية مثل محاولة نسف المركز التجاري العالمي الأولى في نيويورك، وإطلاق الغز الخانق في نفق قطارات طوكيو يشير إلى أن الجماعات المتطرفة تستخدم أسلحة غير تقليدية أفدح خسارة واشد فتكاً.

ومن دواعي قلق مراكز إدارة الأزمات أن تحصل جماعة إرهابية على مادة مشعة لا لصنع قنبلة نووية وإنما لتركيب قنبلة تقليدية قذرة تلوث منطقة واسعة في حالة تفجيرها، خاصة وأن إعداد قنبلة كهذه لا يحتاج إلى تفجير نووي، بل إلى انتشار المواد النووية، وفي تقدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أن نحو عشرين دولة تحاول تطوير أسلحة كيماوية أو جرثومية في الوقت

الحاضر، ولقد اتفق معظم الخبراء على أن بعض الدول أصبحت تمتلك القدرة النووية مثلها مثل باكستان والهند (١٠) وكذلك إسرائيل المستمرة في خرق الحظر النووي والتي أنتجت سرّاً ما يقدر بالمئات من القنابل النووية، ومثل العراق الذي كان على بعد سنوات من امتلاك السلاح النووي حين دمرته عاصفة الصحراء، ولا يعتقد سوى قلائل أن صدام حسين قد تخلى عن طموحاته النووية، ومثل كوريا الشمالية التي ربما تكون قد صنعت قنبلة أو اثنتين، وكذلك حال بعض بلدان أخرى مثل تايوان وكوريا الجنوبية.

ومن جانب آخر فإن الباحثين يركزون في دراساتهم على الجهود الوقائية لمنع إنتشار تلك الأسلحة الفتاكة ويعكفون على سبل منع الدول من تطوير تلك الأسلحة الصعب إدارة أزمات هذا الوضع الا بتقديم تضحيات بشرية يكون الخاسر فيها أطرافاً دولية عديدة، ويتضح من دراسة قامت بها مؤسسة راند للأبحاث مدى صعوبة الحد من انتشار هذه الأسلحة إذ أنه لا يمكن تصور قيام الدول الكبرى بمواجهة الترسانات النووية الصغيرة الناشئة عن طريق شن هجوم على المنشأة النووية التابعة لها لأن ذلك يعتبر عملاً استفزازياً وأنه سيؤدي إلى نتيجة سلبية، كما أن العواقب السياسية والتدميرية بدءاً من أثارة الرأي العام إلى احتمالات انتشار الغبار الذري المتساقط على بلدان الحلفاء يعتبران من أهم المخاطر الداعية إلى رفض فكرة الهجوم المفاجئ لردع دولة ما والحيلولة بينها وبين استخدام قدراتها النووية، ويشير بعض المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية إلى أن الولايات المتحدة أثناء حرب الخليج أرسلت معظم معداتها العسكرية إلى هناك إلا أنهم يعقبون على ذلك بقولهم لو أن صدام حسين كان يملك ثلاث قنابل نووية لاستطاع تدمير قدراتنا الحربية تماماً، وتعرض مؤسسة راند في دراسة لها في هذا المجال بدائل تتفاوت بين إستراتيجية معتدلة دفاعية تقوم في معظمها على أساس الخطط والبرامج المعمول بها حالياً وبين وضعية هجومية مضادة للانتشار النووي وتشمل عدد كبيراً من القوة الضاربة ووسائل الدفاع الصاروخية، وما يزيد الأمر صعوبة في نظر الباحثين هو السهولة النسبية في الحصول على التكنولوجيا النووية المهمة في إنتاج السلاح النووي ووجود معدات متقدمة تستخدم لحفر الأنفاق مثل الحفارات الضخمة التي استعملت في شق القناة تحت بحر الشمال وتخبيئتها في الأعماق بحيث يصعب تدميرها دون استخدام أسلحة مدمرة فتاكة ومتطورة وهذا كله يعني أن إجراءات منع انتشار السلاح النووي ليست مضمونة النتائج ولا يتبقي سوى أمل واحد من وجهة نظرهم وهو أن تتجج خشبة الردع ضد الدول النووية الجديدة مثلما نجحت أثناء الحرب الباردة، ولكن أحد الخبراء في الحكومة الأمريكية يشير إلى أن بلاده تعرف عن كوريا الشمالية وإيران وغيرها أقل مما كانت تعرفه عن الاتحاد السوفيتي وإنها تجد صعوبة في الوصول إلى أسرار هذه البلدان النووية (١١).

ويخلص الباحثون إلى أن المخاطر التي ينطوى عليها الانتشار النووي في عالم ما بعد الحرب الباردة دفعت أعداد متزايدة من المتشددين والمعتدلين في العالم إلى المطالبة بنزع السلاح النووي، إلا أن الصعوبة تكمن في كيفية القيام بذلك. وإذا كان الرعب النووي واستخدام أسلحة الدفاع الشامل التي جننا على ذكرها يشكل حيزاً كبيراً من تفكير مراكز إدارة الأزمات الدولية في العالم فإن لدول العالم مشاكلها وأزماتها الأخرى التي ت عمل على التصدي لها ولإدارتها ويحاول صناع القرار إيجاد مخارج لها ويعكف الباحثون في مراكز إدارة الأزمات في تلك الدول على متابعتها رغم أنها أقل خطورة من أسلحة الدمار الشامل إلا أنها أكثر حدوثاً ونقصاً بذلك النزاعات والصراعات التي تؤدي في النهاية إلى إنها أكثر حدوثاً، ونقصاً بذلك النزاعات والصراعات التي تؤدي في النهاية إلى حدوث أزمات دولية وعادة ما يتدرجون في تخطيطهم لمواجهة الأزمات الدولية متبعين ثلاثة بدائل مهمة سنتطرق إليها في الصفحات التالية التي تحمل عنوان أساليب إدارة الأزمات الدولية.

أساليب إدارة الأزمات الدولية:

تعتمد الدول في إدارة أزماتها على أساليب عدة بغية الوصول إلى مخرج لحل أي أزمة تواجهها، ومن أهم تلك الأساليب أسلوب التساوم التوفيقى وأداته هي الدبلوماسية فإذا ما احتاج الأمر إلى وسيلة أخرى اشد تأثيراً، فإن الدول القادرة تلجأ إلى أسلوب التساوم الإكراهي ووسيلته هي دبلوماسية القوة، وإذا ما فشلت في ذلك فليس هناك من بديل آخر سوى التنازل أياً كان حجمه أو المواجهة العسكرية وهو الخيار الصعب الذي لا تتمناه أية دولة حتى وأن كانت النتيجة هي النصر، لأن ذلك سيكون معناه بالنسبة للدولة كلفة اقتصادية وبشرية، كما أنه يجعل الدولة في وضع قتالي مستمر مما يجبرها إلى استنفار جميع طاقاتها على حساب ممارسة دورها الاعتيادي محلياً ودولياً.

لذلك فإن الدول الواعية تبادر إلى اللجوء إلى الإقناع أو الإكراه بعيداً عن القوة العسكرية تاركة هذا الخيار الصعب في مؤخرة البدائل المطروحة، وسوف نتحدث عن الأساليب الثلاثة المهمة التي عادة ما تحاول الدول حل أزماتها الدولية بواسطتها هي:

a. أسلوب التساوم التوفيقى (الدبلوماسية)

b. أسلوب التساوم الإكراهي (دبلوماسية القوة)

c. أسلوب الحل العسكري.

١- أسلوب لتساوم التوفيقى (الدبلوماسية):

هو مجموعة التحركات (التصريحات أو الأفعال) التي تسعى إلى التوفيق ما بين مصالح أطراف الأزمة من خلال الحل الوسط أو التنازلات المتبادلة بهدف الوصول إلى معالجة سلمية وتسوية مرضية لجميع الأطراف وبما لا يلحق أضراراً جوهرياً بمصالح أي طرف، وعادة ما

يعزز كل من أطراف الأزمة مصداقيته ورجبته في إتباع هذا النموذج عن طريق التصريح بذلك أو إتباع خطوات فعلية تدل عليه ويستخدم هذا الأسلوب في الحالات الآتية:-

- ١- إذا ما حققت الدولة هدفها من الأزمة.
- ٢- إذا ما شعرت إنها ستفشل في تحقيق أهدافها عن طريق تصعيد الأزمة.
- ٣- إذا ما شعرت أن تكلفة التصعيد في الأزمة أكثر مما تتحملة إمكانيات الدولة.
- ٤- إذا ما حدث تغيير في البيئة المحلية أو الدولية لازمة مما يجعل استمرار تصعيدها أمراً غير مرغوب فيه.

ويجب عند استخدام هذا النموذج البدء بتحركات توفيقية صغيرة كتقديم تنازلات صغيرة ومحدودة وغامضة بحيث تحقق تلك التنازلات التسوية المرجوة مع مراعاة الحد الأدنى من الخسارة للمصلحة القومية وفي حالة ما إذا لم يحقق التنازل المحدد هدف الوصول إلى التسوية أمكن تقديم تنازلات أخرى أكبر نسبياً دون إلحاق ضرر جوهري بمصالح الدولة المتنازلة، إلا إنه في بعض الأحيان يعتبر القيام بتقديم تنازلات كبيره في بداية الأزمه كالتسليم مثلا بمطالب الجانب الأخر تهديدا لمصالح الدولة العليا مما يؤدي إلي حدوث أضرار وخسائر جوهريه ويبقي علي جذور الصراع دائما مشتعلة ويشجع علي تكرار مثل هذا النوع من الأزمات كما هو ملاحظ في اغلب عمليات الإرهاب الدولي بالرغم من انه قد يبدوا وكان إتباع هذا الأسلوب قد حقق تسويه سريعة وحاسمه لازمه وتعتبر الدبلوماسية من أهم أدوات هذه المرحلة كما هو واضح في الصفحات

التالية ٠٠٠

لقد مر بنا إن الدبلوماسية هي أهم أداه من أدوات لتساوم التوفيقي.وهي لم تكن وليده هذا العصر وإنما

مع بداية عصر النهضة وقد تصورها تدارس رويتر في كتابه فن الدبلوماسية فقال بان الأصل في نشاه الدبلوماسية تقوم علي افتراض مؤداه إن قبيلتين اقتتلتا زمنا طويلا حتى أوشك الفناء إن يبيدها معا وفي هذه اللحظة الحرجة من تطور الإنسانيه ينشط الذكاء العاطل وتتفتق القرية الخاملة عن حلول عبقرية تحت ضغط الحاجة إلي تحقيق المعادلة الصعبة وهي تجنب الفناء وتجنب الهزيمة في إن واحد فاخترت احدي القبيلتين من بين أبنائها أكثرهم حكمه واربطهم جاشا وأوسعهم حيله وأوفدتهم إلي القبيلة

أخري في أول مهمة سلام عرفها الإنسان كان هذا الوفد يرتدي ملابس مزركشة زاهية الألوان وقد تجرد أعضاؤه من الاسلحه التي اعتادوا حمل ها وارتسمت علي وجوههم ابتسامات ودوده مسالمة فأحجم أفراد القبيلة الاخري عن الانقضاض عليهم وتهشيم رؤوسهم بهراواتهم الحجرية وأدركوا إن

هؤلاء القادمين يختلفون عن غيرهم من المحاربين ليس بالزى والملاح فقط وإنما بالنوايا أيضا •
وهكذا نجحت أول مهمة سلام في التاريخ •

وما يعيننا في هذا المثال الذي ذكره تشارلس رويتر هو إن الجماعات الإنسانية قد اهدت في وقت مبكر من تاريخها إلى أسلوب آخر غير أسلوب الصراع البدائي يمكنها من خلاله الاستمرار في تطورها •

ولفظ الدبلوماسية إغريقي الأصل انتقل إلى ألاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحية ثم إلى اللغة العربية وهو في أصله الإغريقي القديم يعني الوثيقة التي يبعث بها أصحاب السلطة وتعطي حاملها امتيازات معينة •

وقد استعملت كلمه دبلوماسيه خلال القرون الوسطي للدلالة علي دراسة الوثائق وترتيبها وحفظها وكانت أول دوله تمارسها هي ايطاليا ثم فرنسا في القرن الرابع عشر وكانت علي نطاق محدود جدا • أما في القرن الثامن عشر فقد اتسع نطاقها فظهرت الهيئة الدبلوماسية وعميد السلك الدبلوماسي وفي مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ م تم الاتفاق علي إيجاد نظام تحديد الاسبقية بين البعثات الدبلوماسية بما يتفق ومبدأ التساوي بين الدول (١٢)

ومع تطور الحياة وتغير الظروف الدولية وازدياد الصراعات ازداد الاهتمام بالدبلوماسية علي صعيد دول العالم كما ازدادت معها القضايا المدرجة بين مهامها وأعمالها سواء من حيث مداها أو تعقيدها فلم تعد مهامها قاصرة علي نقل الرسائل بين الحكومات وتوضيحها وجمع المعلومات وحماية مواطني الدولة في الخارج ورعاية مصالحها وتأكيد شرعيتها وإبراز دورها ومكانتها بين دول العالم أضافه إلي تدعيم العلاقات بين ممثلي الدولة المختلفة ولكنها أصبحت تضم خبراء يستعان بهم ويلعبون دورا مهما في القضايا الاقتصادية والتسلي حيه والأمنيه والاعلاميه والزراعية والمؤتمرات الدولية •

وعلي الرغم مما شهدته الدبلوماسية من تطورات عديدة في وظائفها إلا إن مهمتها الرئيسية تتمثل في تنمية القدرات الخاصة علي مواجهه الأزمات من خلال التجربة الطويلة التي مرت بها قصه الصراع بين الجماعات الإنسانية المختلفة •

والتاريخ حافل بنماذج لا حصر لها تبرهن علي قدره الإنسان علي ابتداع الحلول الخلافة لمواقف الأزمات وذلك عندما تعجز القوه المادية عن دفع الخطر وعندما ينجح الفكر الإنساني في تعويض هذا القصور كما إن هذه النماذج من ناحية أخرى تثبت حقيقة تاريخيه هي إن أداره الأزمات كانت احدي أساليب أداره العلاقات الإنسانية علي مستوياتها المختلفة منذ فجر التاريخ وإن القدرة علي النجاح فيها كانت امتيازا غريزيا خص الله سبحانه وتعالى البعض من البشر بيه دون البعض الآخر وأنها كانت الأسبق وجودا من محاولات الدراسات النظرية التي بدأت في مطلع الستينات تماما مثلما تعلم الإنسان السباحة قبل إن يكتشف قانون الطفو •

وتعد الدبلوماسية الاداء الرئيسية الفاعلة لحل الأزمات أما بقيه الآليات فهي في الحقيقة عوامل ضغط مصاحبه لمراحل استخدام الدبلوماسية ومساعدته لإنجاحها وتأثرت الدبلوماسية كغيرها من العلوم والفنون الاخرى بالتطورات السياسية والتكنولوجيا المعاصرة وانعكس تطور وسائل الاتصال والتوسع في العلاقات التجارية والثقافية والاعتماد المتبادل بين الشعوب علي الدبلوماسية وادي إلي تعدد مفاهيمها ومهامها وكذلك أساليبها فظهر معارف بدبلوماسية القمة ودبلوماسيه المؤتمرات والدبلوماسية الشعبية .

والهدف الرئيسي من الدبلوماسية مهما اختلف أشكالها هو الاتصال وتبادل وجهات النظر إلا انه ينبغي الاشارة إلي عنصر مهم وهو نجاح الدبلوماسية في مجال العلاقات الدولية والحفاظ علي المصالح العليا للدولة عن طريق التفاوض والتفاهم لا يتم بالصور المناسبة دون مسانده حقيقية من قوي الدولة الاخرى أما العمل الدبلوماسي في مجال أداره الأزمات فمتنوع وأساليبه متعددة مثل .

- الاحتجاج لدي الجانب الآخر - علي صعيد المنظمات الدولية

- سحب السفراء أو تخفيض البعثات الدبلوماسية أو التهديد بالقيام بذلك

- قطع العلاقات كمرحلة احتجاج قصوى .

- الخوف من الأحلاف أو التكتلات إذا كانت الدولة داخله ضمن منظومة دوليه مثلاً .

- عقد معاهدات أو أحلاف مع دوله معاديه للجانب المضاد مع مراعاة اختيار الوقت المناسب لتنفيذها (١٣) .

- والدبلوماسية ليست السياسة الخارجية رغم أنها تستخدم غالباً كمرادف لها فالسياسة الخارجية هي الموقف الذي تتخذه دوله تجاه دوله أخرى أما الدبلوماسية فهي أداء من تلك الأدوات المتعددة التي تستخدم لنقل هذا الموقف وصنعه موضع التنفيذ ورغم إن مهام الدبلوماسية وأدوارها متعددة إلا إن من أبرزها عمليه التفاوض التي تتمثل في نقل وجهه نظر دوله ما أو موقفها لدوله أو دول أخرى بغية تحقيق هدف من الأهداف التالية .

- تحديد نوعيه المصالح المشتركة والاتفاق علي الإجراءات المشتركة التي يتم التنفيذ من خلالها وكذلك رسم خريطة لا ولا ولوياتها .

- التفاوض حول قضيه تتقارب فيها المصالح بهدف التوصل إلي تحديد قاسم مشترك بينهما أو التنازل عن مصلحة مقابل مصلحة أخرى في نزاع أهم .

ولكي تتجح عمليه التفاوض الدبلوماسي بصوره عامه فلا بد من توافر حد ادني من الثقة بين الطرفين في تنفيذ كل الوعود التي يتم التطرق إليها من خلال عمليه التفاوض . فإذا متصل طرف من التزاماته فان ذلك قد يؤدي إلي زيادة اشتعال للازمه وليس إلي حلها وهذا يحدث فعلاً بين الفلس طنين والاسرائيلين في معارف باتفاقات أو سلو ومفاوضات مدريد والتي استمرت شهوراً

طويلة تم التوصل خلالها إلي عدد من البنود واتفق علي تنفيذها علي مراحل زمنية محددة ولكن نتيجة لعدم توافر نوايا حسنة عند الجانب الإسرائيلي واعتمادا في إيه مفاوضات مع الجانب العربي علي المراوغة وتحقيق المزيد من المكاسب لم تنجح هذه المفاوضات بل كانت نتيجتها مزيدا من الإحباط والإضراب والعنف •

ويقوم بأداء هذا العمل الدبلوماسي مبعوثون خصوصيون تصنفي عليهم الدولة الصفة التمثيلية وقد يكونوا من السياسيين المحترفين أو من كبار رجال الصناعة والأعمال أو قد يكونوا خبراء في الشؤون العسكرية أو الفنية التي ترتبط بسياسة الدولة الخارجية ويتميز هؤلاء المبعوثون بالعلم الدقيق في الموضوعات التي يتم التفاوض بشأنها كما أنهم يتمتعون ناهليه قانونية تفوضهم للتعبير عن أراده دولتهم في حدود التفويض الممنوح لهم • وبناء عليه فان المهمة الدبلوماسية مهمة مؤقتة ترتبط بادئه هدف معين فإذا ما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين دولتين فان ذلك لا يعني بالضرورة انتهاء مهمة هذه البعثات •

وتلجا الدول أولا إلي استخدام الدبلوماسية بأساليبها ووسائل المتعددة العلنية والسرية لحل للزامه إلي جانب الوسائل الاخرى مثل المعاملات الاقتصادية وأعمال الجاسوسية والمخابرات والحرب النفسية والدعاية وأحيانا تلجا إلي استخدام هذه الوسائل مجتمعه أو بعضها لحل للزامه •

إما تحقيق النجاح في أداره للزامه فيعود بالدرجة الأولى إلي مهارة فريق أداره للزامه في استخدام تلك الآليات والتنسيق فيما بينها بحيث تكمل كل أداه منها الاخرى وتدعما بما يؤدي في النهاية إلي نتائج ايجابية وناجحة لأداره للزامه •

ولكي تنجح عملية حل للزامه الدولية عن طريق التفاوض الدبلوماسي فلا بد من إدراك طرفي النزاع أو كليهما للمعطيات التالية •

١- إدراك كل من طرفي للزامه أو إطرفها حاله تعددهم انه ليس بوسع أيهما أو أيهم تحقيق كل أهدافه مره واحده •

٢- إدراك إن حل للزامه يتطلب مراعاة مصالح الطرفين لان أي حل جائز يجئ علي حساب احدهما قد يدفع الطرف المتضرر إلي اللجوء لاستخدام القوة •

٣- ضروره التدرج في استخدام الخيارات المطروحة التي تم تحديدها وفقا لخطط مسبقة مع مراعاة مستجدات ألامه انطلاقا من إن عملية التدرج تتيح لصانع القرار الفرصة لتجربه بدليل آخر حاله فشل البديل الذي تم اختياره ••• كما انه يتيح فرصه للطرف الأخر في ألامه (الخصم) إن يراجع موافقة التي تبدوا متصلبة ومتعنتة •

٤- التركيز خلال مرحله التخطيط للزامه علي أهميه البحث عن قنوات اتصال مع الخصم المحتمل وضرورة فتح هذا القنوات دون مكابرة والإبقاء عليها مفتوحة بصوره مباشره أو غير مباشره أو غير مباشره خلال مرحله تنفيذ الخطة وهو أمر من شأنه تضيق هوة الخلافات بين

الطرفين وأزاله عوامل اللبس التي تكون موجودة لديهما وتخفيف حده العداء التي تكتنف ظروف ألامه .

٢- أسلوب لتساوم الإكراهي (دبلوماسية القوة) :

هو مجموعه التحركات (التصريحات أو الأفعال) التي تقوم بها دولة ما وتهدف من ورائها إلي إظهار الحزم والتمسك بالمصلحة إزاء الطرف الآخر من لازمه وأداتها في ذلك هي دبلوماسية القوة أي التهديد باستخدام القوة أو التحرك العسكري الذي ينذر باستخدامها بشكل فعلي مع الإصرار علي فرض إرادتها علي أرامه الخصم .

فمن الحقائق الثابتة في علم العلاقات الدولية إن القوة أداءه للدبلوماسية وهذا أمر يمثل جانبا مهما إذ إن للدبلوماسية وحدها غالبا مات كون محدودة الفعالية في تحقيق الأهداف التي تتوخاها وترمي إليها .

وفي هذا السياق قد يثار تساؤل عما إذا كان عنصر الاستعانة بالقوة إلي جانب الدبلوماسية يكون أكثر نفعا في أداره الأزمات أم إن استخدام القوة يمكن إن يعمق الخلافات بصورة خطره قد تدفع إلي حده التوتر وتعميق الازمه ويدفع في النهاية إلي إشعال الحرب

والجواب هو إن التجارب الكثيرة التي مرت بها الدول والنتائج التي تم استخلاصها من الأحداث المشابهة تشير إلي التلويح باستخدام القوة العسكرية وكذلك الاستعدادات اللازمة التي قد تتطلبها طبيعة المواجهة من غير مبالغه في التحركات العسكرية أو البدء بالهجوم الفعلي يساعد الجهود الدبلوماسية المبذولة بل إن تلك الجهود قد لنتجح في أحيان كثيرة إذا لم يشعر الطرف الآخر بأنه لا مناص من القبول بما هو مقبول إذا ما اراد تقادي ماهر غير مقبول كما إن نجاح دبلوماسية القوة يعتمد إلي حد كبير علي طبيعة الموقف ونوعيه ألامه المطلوب ليجاد حل لها .

وعاد مايعزز كل طرف من إطراف الازمه مصداقيته بإظهار نماذج القوة المتاحة والمتوفرة لديه بل وبالإستخدام الجزئي لتلك النماذج بدءا من فرض العقوبات الاقتصادية - حشد القوات - الحصار البحري - إنشاء الأحلاف والتكتلات المضادة - تعبئه الرؤى العام العالمي - رفع درجات الاستعداد لبعض الوحدات العسكرية ومنتهيا بالتهديد باستخدام القوة . ويتحتم علي كل طرف إن يحاول التأثير علي الطرف الآخر وان يشعره بهميه مصالحه القومية واستعداده للدفاع عنها بالقوة المسلحة كما يحاول أيضا كل طرف إن يوحى للخصم بان استخدامه لقرار الحرب سيكون غالي التكلفة عليه وحنى إن كان علي حساب الطرفين فهو أكثر تكلفه واشد تأثيرا عليه) أي الخصم (.

وتفترض أداره الازمه - لكي تحقق الدولة كسبا مضاد الخصم من خلال استخدامها لأسلوب الضغط الإكراهي - اتخاذ موقف حازم قوي مع توفير قدر ملائم من المرونة سواء علي مستوي

التصريح (التهديد باستخدام القوة) أو علي مستوي الفعل (الشروع في التحرك العسكري) حتى لتزيد من عنصر المخاطرة إمام الخصم .

فالهدف المرجو هو الضغط عليه أو إكراهه علي تقديم تنازلات دون نزال لذلك يجب إبقاء المناورة باستخدام هذا الأسلوب داخل حدود معقولة ومحسوبة وإلا امتد أثره العكسي علي الخصم نفسه وأصبح متمسكا بموقفه مهما ساءت الأمور بحيث تصبح المخاطرة بتصعيد الموقف عنصر ضغط علي طرفي الأزمه علي حد سواء ففي الأزمه الكوبية مثلا كان الخيار الذي اعتمده الرئيس الأمريكي جون كنيدي في أداره اللازمه معبرا عن الحرص علي خلق المخاطرة إمام السوفييت حتى يدركوا إنهم مقدمون علي موقف حازم وقاطع ولكنه بدلا من إن يقوم باتخاذ قرار توجيه ضربه جوية استراتيجيه للصواريخ السوفييتية في كوبا اكتفي بقرار الحصار البحري حول كوبا حيث ابقي المخاطرة داخل حدود محسوبة ومعقولة دون إن يدفع السوفييت إلي رد انتقامي قد يفضي إلي كارثة عالميه . بل انه وبرغم الحصار سمحت الولايات المتحدة الأمريكية لأول سفينة سوفييتية بالمرور إلي كوبا كما أصدرت أوامرها بان يتم تأخير اعتراض السفن السوفييتية إلي توقيت أخر بعد إن أعلنت صراحة عن هذه الإجراءات حني تصل إلي سماع السوفييت أخبار مفادها إن كنيدي أعطي السوفييت فرصه لأعادته النظر في قرارهم بوضع الصواريخ في كوبا الأمر الذي أدي إلي تسويه الأزمه سلميا بتراجع الاتحاد السوفييتي وموافقته علي سحب الصواريخ السوفييتية مقابل التزام أمريكي بعدم مهاجمه كوبا وبدون خسائر جوهريه لإطراف الأزمه .

وتفترض أداره الأزمه أيضا علي مستوي التهديد باستخدام القوة إن تتم دراسة البدائل والخيارات بمنتهي الوضوح والجديه والعمق مع التنبؤ بتبعات الفعل ورد الفعل فالتهديد المتصلب يحقق الحد الأقصى من المصادقية والحزم ولكن يعيبه افتقاد مرونة الحركة حيث انه يلزم الدولة مصدر التهديد بتنفيذ تهديدها إذا لم يمتثل الخصم بتنفيذ شروطها في حين إن التهديد الغامض وان كان يقلل من عنصر الأزمه أي من القوة الضاغطة الاكراهيه للدولة مصدر التهديد إلا انه يضمن لها فيما بعد حرية الحركة في اختيار البدائل الأكثر حده وتصعيدا إذا لم يمتثل الخصم للتهديد الأول.

كما إن أسلوب التهديد الغامض لا يفرض علي الخصم طابع الاستشارة والاستقاز من الدولة مصدر التهديد ومن ثم فقد يري الخصم إن الامتثال لمصالح الدولة مصدر التهديد في هذه الحالة لا يعرض سمعته وهيبته ومكانته لضرر واضح . وعلي ضوء هذا يتضح موقف كنيدي عندما اعترض علي اقتراح إعلان حاله التعبئة العامة في بداية ارمه برلين ١٩٦١ فقد أراد كيديان يستبقي هذا التهديد القوي الواضح إلي مرحله متاجره من الأزمه تبدأ إذا موقع السوفييت معاهدة سلام مع ألمانيا الشرقية أو إذا ماغلقوا مدخل برلين الغربية .

ويوضح بعض علماء الاستراتيجية هذا النقطة من فن أدارة الأزمات بقولهم انه من الأفضل إن تبدأ الدولة بتوجيه التهديد بأعمال عسكريه محدودة بدلا من التهديد بحرب شامله وذلك لعدم استثاره تحرك عدائي مقابل من الطرف الآخر .

ويكون التهديد غامضا بغموض مكوناته والتي تنحصر في الاشارة إلي مطالب الدولة مصدر التهديد إلي جانب العقوبات المتوقع إن تفرضها علي الطرف الآخر إذا لم تتم الاستجابة إلي مطالبها ٠٠٠ فبخصوص المطالب قد تكتفي الدولة مصدر التهديد بإعلان عدم رضاها عن الوضع القائم وأنها تنتظر من الطرف الآخر اللازمة عرضا مناسباً ومقبولاً في هذا الصدد كما حدث في فيتنام الشمالية عندما طلبت الولايات المتحدة الأمريكية منها إن تتخذ بعض إجراءات تخفيف التصعيد في عمليات القتال إنهاء ضرب هانوي بالقنابل وإلا استمر ضربها ولم تحدد واشنطن إجراءات تخفيف التصعيد بل تركت مطالبها بهذا الشأن غامضة .

عندئذ كان علي فيتنام الشمالية إن تفكر في اتخاذ إجراءات تحفظ لها كرامتها وفي الوقت نفسه أمكن للولايات المتحدة إن تفسرها علي إنها إجراءات لتنفيذ مطالبها بالرغم من عدم الإعلان تفصيلا عن هذا الإجراءات أي إن غموض المطالبة من جهة وإجراءات التنفيذ في المقابل من جهة أخرى كان مفيدا لطرفي الأزمه في هذا الحالة فالدولة مصدر التهديد تستطيع إن تفسر رد فعل الخصم علي انه امتثال لمطالبها بينهما يستطيع الطرف الثاني إن يختار تحركات تحفظ له كرامته وسمعته .

أما علي مستوي الفعل (التحركات العسكرية) فهناك خيار البدء بتحركات متشددة مع بداية الأزمه أو البدء بتحركات غير متشددة . وهناك فريقان من المفكرين الاستراتيجيين ينادي الأول منهم بأفضليه البدء بتحركات غير متشددة بينما يفضل الثاني البدء بتحركات متشددة ويتجلي منطق الفريق الثاني في اظهار عيوب البدء بتحركات غير متشددة وأهمها أنها تظهر صاحبها بمظهر عدم الحزم وضعف الاراده فضلا عن أنها تعطي للخصم مزيدا من الوقت لاختيار انساب استراتيجيات للمواجهة ودعم جهوده بمسانده أطراف أخرى وتتبنى مؤسسه الحكم في إسرائيل هذا الرأي في اغلب تحركات أما الفريق الأول فيستند إلي إن الخبرة العملية دائما ماتبنئ بان التحركات غير المتشددة في بداية الأزمه هي أفضل وسيله لتحقيق هدف الضغط الإكراهي ولتجنب الكثير من الكوارث كما أنها تبقي المجال واسعا لمزيد من التحركات الاخرى الأكثر تشددا اوالتوفيقية البديلة إذا مااستجاب الخصم للضغوط الواقعة عليه ويعتبر التحرك غير المتشدد في نظر هذا الفريق أكثر فاعليه من أكثر التهديدات تشددا وعنفا في مواجهه الخصم فالحصار البحري الأمريكي في الأزمه الكويتية كان اشد تأثيرا وحزما من أي تهديد أخر للتعبير عن النوايا الأمريكية وكذلك كان اثر التصعد المتدرج في تحرك القوات الأمريكية والبريطانية إبان ازمه المفتشين الدوليين مع العراق عام ١٩٩٧/١٩٩٨ واضحا علي مواقف العراق فيما بعد فقد اثبت

ذلك التصعيد في احدي مراحل الازمه لصدام حسين إن التهديد غير المتشددة قد تحول إلي هجوم وشيك مما دفعه إلي الرضوخ لدبلوماسية القوه .

ويذهب الفريق الأول أيضا إلي انه من الضروري البدء بتحريك حازم غير متشدد في الظروف التي يصعب الحصول فيها علي معلومات سليمة عن نوايا الخصم واستعداده للتصعيد من عدمه وذلك لأنه يعطي الفرصة للتعرف علي طبيعة ردود فعل الخصم وما إذا كان مستعدا للرد علي تحركات تاليه علي أساس سليم بدلا من البدء بتحريك جامد متشدد معتمدا علي التخمين في تقدير رد فعل الخصم ولقد قام السوفييت بإتباع هذا الأسلوب الازمه

برلين فلم يبدأوا ببناء حائط برلين من أول تحرك بل بدعوا باقامه سياج بيه فتحات تسمح بالمرور إلي برلين الغربية وعندما تمثل رد الفعل الغربي في عدم التحركات كان ذلك علامة تشير إلي عدم توقع رد فعل غربي عنيف علي تحركات سوفييتية أكثر تشددا أو عنفا فانقل السوفييت إلي الخطوة الثانية ببناء الحائط كاملا .

وأخيرا فلا بد لنا إن نضع هذين الأسلوبين اللذين عاده مايسبقان الحل العسكري في ميزان التقييم استنادا إلي الاعتبار التالية .

إن سيطرة نموذج واحد من أساليب أداره الأزمات علي تحركات الدولة ينتهي دائما بنتائج سلبية لذا تفترض الاداره الرشيدة للأزمة إن تقوم الدولة بالجمع ما بين استخدام نموذج التساوم الإكراهي جنبا إلي جنب مع استخدام النموذج التوفيقي بشكل متناسق وغير متعارض بحيث تساند كل أداره . . الاداره الاخري وتدعمها .

إن الاقتصار علي استخدام أسلوب التساوم الإكراهي (دبلوماسية القوه) مع التصعيد عاده مايو حي بان الطرف الآخر ليس لديه النية للتعايش والتسوية التوفيقية مما يدفع الخصم إلي مزيد من التشدد غير المرغوب فيه مع استمرار سلسله الفعل ورد الفعل المتصاعد الذي قد يؤدي في النهايات إلي تفاهم الازمه أو إلي انتقالها من النطاق المحلي إلي النطاق العالمي مما يهدف بدخول أطراف أخرى في الازمه وما يصاحب ذلك من تبعات .

إن استخدام الأسلوب التوفيقي في أداره الأزمات دون إن يكون مصحوبا أو مقرونا بأساليب الضغط ليس أيضا بأحسن حال من سابقه بل انه من الصعب تصور نجاح مثل هذا الأسلوب في الممارسات العملية لأداره الأزمات لأسباب عديدة منها - علي سبيل المثال وليس الحصر - الطبيعة البشرية عامه التي ترفض تقديم تنازلات طواعية مالم تكن مكرهه علي ذلك حني مع الحصول علي مقابل ووحده صنع القرار في جميع الدول المتقدمة منها والنامية الكبيرة منها والصغيرة - ماهي إلا مجموعه من البشر ينطبق عليها ماينطبق علي سائر البشر مع الفارق في حجم التنازلات ونوعها .

إن الجمع ما بين أسلوب التساوم الإكراهي والتوفيق عند أدائه الأزمات يعطي صيغه تكاملية متناسقة ينتفي فيها تصور التعارض الطبيعي بين الضغط من ناحية والتوفيق من ناحية أخرى . بل إنهما يتكاملان في عملية المساومة أي إن موقف الدولة في عملية التفاوض لتسوية الأزمه اقوي إذا ماسبق ذلك التفاوض أو تواكب معه استعراض للقوه كما إن التصريح أو التلميح أو التلويح ببعض الإشارات أو الدلائل التوفيقية أثناء ممارسه الضغوط يساعد بل ويسرع من خطوات معالجه لازمه .

إن المشكلة التي تواجه متخذ القرار دائما في إدارته للأزمة هي كيف يبدو حازما ومرنا في آن واحد وهذا ما يطلق عليه في فن إدارة الأزمات اصطلاح الرشد ولما كانت الاداره الرشيدة للأزمة تعتمد علي تقديرات وتحليلات وحده صنع القرار فإن درجه الرشد تتحدد بالتالي وفقا للمعلومات المتاحة للدولة عن ظروف الأزمة وإمكانيات الخصم وإمكانيات الدولة في مواجهتها . وعلي متخذ القراران يدرس مختلف الخيارات المطروحة أمامه من حيث الأهداف والأولويات والقدرات والتكلفة التي يستطيع كل طرف تحملها ثم يختار ما بين البدائل أولي خطوات التحرك في اتجاه إدارة الأزمه .

وعاده لا تخلو تحركات متخذ القرار من النقاط الثلاث الآتية:

١- إذا ما أنتهي متخذ القرار في دوله مالي إن مصداقية دولته لن تتأثر بإتباعها أسلوب التساوم الإكراهي . وإن المخاطرة التي يخلقها ذلك التحرك في مقدور دولته تحملها وان قدره الخصم علي تحمل هذه المخاطر أقل (أي إمكانياته تفوق إمكانيات الخصم) فانه يقرر إن يأخذ بهذا التحرك وعلي العكس من ذلك إذا أدرك إن مصداقية تحرك الخصم سوف تكون مرتفعه كما انه سيخلق مخاطر اكبر مما تستطيع إمكانيات الدولة إن تتحملها فانه يميل إلي اتخاذ تحرك اقل عنفا أو تحركا توفيقا .

٢- إذا أدرك الخصم - وهو طرف رد فعل الأزمة

إن تحرك الدولة الأولي ألتهديدي الضاغط جدي وان بمقدورها تنفيذ تهديدها وأن المخاطرة التي يثيرها هذا التحرك أكبر من إن تتحملها دولته فانه عاده مايلجأ إلي الأسلوب التوفيقوي والعكس صحيح في حاله ما إذا أدرك إن تهديد الدولة الأولي عديم المصداقية فانه يتبع التصعيد والتشدد .

إذا مادركت كل من الدولتين طرفي الأزمة إن تهديدات الخصم عاليه المصداقية وإنها تخلق مخاطره ذات تأثير يتجاوز ماتتحمله

٣- إمكانيات الدولتين فإنهما يتجهان إلي إتباع الأسلوب التوفيقوي وتنتهي الأزمة بحل وسط . وعلي العكس إذا ما قدرت الدولتان إن مصداقية التهديدات المتبادلة اقل درجه مما تبدو وأن

المخاطرة التي تثيرها الدولة الخصم من الممكن تحملها فإنهما تعمدان إلي إتباع التشدد في مسلك تصعيدي متبادل .

إن سوء التقدير للمواقف أو الخطأ في حسابات أية مرحله من مراحل الأزمة أو العناد والمكابرة عبارة عن نذر خطر شديد وانزلاق إلي حرب ضروس تنقلنا إلي الأسلوب الثالث في حل الأزمات الدولية وهو الأسلوب الذي سنتحدث عنه في الصفحات التالية

٤- أسلوب الحل العسكري

إذا باءت جميع سبل إدارة الأزمة بالفشل توفيقا عن طريق دبلوماسيه القوه وإذا مااستمر كل طرف في تشدد فان الخيار المقيت هو النزول إلي حلبيه الصراع لتحسم لغة المدافع ماعجزت لغة الحوار عن تحقيقه وهو أمر يعتمد علي قوه الأطراف المتنازعة ومدى استعدادها لدخول الحرب دفاعا عما تعتبره تهديدا لمصالحها المباشرة أو غير مباشر . ولا شك إن أصعب قرار يقوم عليه متخذ القرار هو إعلان حاله الحرب لأنه يصنع الدولة أمام اخطر نوع من الأزمات ويتوقف عليه مستقبلها وكيانها وأحيانا وجودها . . . واليتم الإقدام عليه إلا في حاله استفاد كافه الخيارات المطروحة والبدائل المتاحة لحل الأزمة .

وإذا ماتركنا جانبا الوسيلة التي تحقق كل دوله بوسطها مآربها العسكري وإستراتيجيتها التي تستخدمها لتحقيق ذلك فان قرار إعلان الحرب واستخدام القوه المسلحة يمكن إن ينتج عنه أزمات أخري لا تظهر للعيان إلا بعد زمجرة المدافع .

فقرار الأزمة العسكرية يختلف عن غيره من قرارات الأزمات الأخرى من حيث انه يتم تحت قعقة السلاح وهو ليس قرار واحدا وإنما قرارات فوريه عده تصدر طبقا لتطورات الأزمة وظروفها التي قد تتغير من وقت لأخر لمواجهة مستجدات الموقف علي ساحات القتال بل إن التحركات العسكرية التي يلجأ إليها متخذ القرار لمجرد التهديد باستخدام القوه العسكرية لا تقل خطورة عن قرار بدء القتال لأنه قد يترتب علي ذلك إقدام الطرف الأخر علي إشعال قتيل الحرب فإذا ما استدعت الظروف القاهرة التلميح باستخدام القوه أو فعلا فيجب علي متخذ القرار إن يضع في حسبانته قبل التفكير في ذلك اختبار قدرته العسكرية الحقيقية لان من شأن ذلك إن يشعل حربا عفويه أو إن يدفع الطرف الأخر للمواجهة أو القيام بعملية عسكريه اجهاضيه أو ردعية . فإسرائيل كانت في كل حروبها مع الدول العربية تركز علي كيفية الرد وإدارة المعركة لصالحها حتى في أحلك المواقف . ففي حرب أكتوبر ١٩٧٣م استطاعت إن ترد ويقوه وتعيد التوازن لقواتها مره أخري علي كلا الجبهتين المصرية والسورية بعد إن كاد زمام الأمر إن يفلت من يديها (١٤) .

ويقودنا المثال السابق إلي التطرق لنوع آخر من أنواع الأزمات التي قد تنتشر أثناء الحرب وخلال الصراع المسلح نفسه نتيجة للمتغيرات السريعة والحادة في موقف احد الجانبين

المتضادين وعاده متغلب علي تلك الأزمات الصفة العسكرية وتعرف باسم أزمات الصراع المسلح أو أزمات ما بين الحروب •

وينقسم هذا النوع من الأزمات من حيث التأثير إلي نوعين هما •

١- أزمات لها طابع استراتيجي •

٢- أزمات لها طابع تكتيكي •

ونورد في مايلي مجموعه من العوامل التي قد تحدث تغييرا يؤدي إلي حدوث هذا النوع من الأزمات •

١- دخول طرف فاعل جديد في الحرب القائمة مثل دخول روسيا حرب الباسفيك عام ١٩٤٥م والذي اثار أزمة بالنسبة لليابان في ذلك الحين وكذلك مثل دخول الصين الحرب الكورية في أكتوبر ١٩٥٠م وكان يمثل أزمة بالنسبة للولايات المتحدة وكوريا الجنوبية كما كان امتداد الجسر الجوي إلي العريش ما بين الولايات الأمريكية وإسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م- لتزويد إسرائيل بالأسلحة والمعدات كان يمثل أزمة بالنسبة لمصر بل كان عاملا من العوامل التي دفعت الرئيس السادات إلي قبول نداء وقف القتال في حينه •

٢- خروج طرف فاعل من الحرب القائمة مثل خروج فرنسا من الحرب ضد ألمانيا في يونيو ١٩٤٠ كان يمثل أزمة لبريطانيا والحلفاء •

٣- التطور التكنولوجي للأسلحة والمعدات أثناء الحرب كاستخدام أسلحه لم تستخدم من قبل ذات فاعليه عاليه مثل استخدام الولايات المتحدة الأمريكية الاسلحه النووية لوقف الحرب الأمريكية اليابانية في أغسطس ١٩٤٥م (قنبليتي هيروشيما ونجازاكي) وظهور الصواريخ المضادة للطائرات والدبابات مع جندي المشاة المصري في حرب أكتوبر ١٩٧٣م أثناء الحرب مع إسرائيل • كما إن استخدام العراق الصواريخ طويلة المدى في ضرب المدن الإيرانية في حرب الخليج عام ١٩٨٨م كان يمثل أزمة بالنسبة لإيران وأتضح أنه كان يشكل أحد العوامل الرئيسية التي دفعت إيران إلي الموافقة علي مطالب وقف الحرب •

٤- الهزيمة في المعركة أو التغيير السريع والحاد في مجريات الصراع المسلح والتي يدرك صناع القرار درجه أهميتها وتأثيرها علي مستقبل واستمرارية الحرب مثل هزيمة ألمانيا في ستالينجراد والعلمين أثناء الحرب العالمية الثانية وأيضا الهزيمة في ديان بيان فوفي مايو ١٩٤٥م كانت تمثل أزمة بالنسبة لفرنسا أثناء الحرب الفيتنامية الأولى • كذلك حدوث الثغرة في حرب أكتوبر ١٩٧٣م وعبور القوات الإسرائيلية للضفة الغربية من قناة السويس كان يمثل أزمة لمصر •

٥- إدراك احتمال دخول طرف فاعل ذي ثقل في الحرب أو التهديد بذلك مثل التهديد السوفيتي بدخول الحرب عام ١٩٥٦ لوقف العدوان الثلاثي علي مصر كان يمثل أزمة بالنسبة (١٥) •

وبعد فهذه الأزمة الدولية وهذه هي أساليب التعامل معها بشكل موجز فكم من أزمة دولية عاشتها
امتنا ودولنا دون الإست فاده

من عبرها أ دراستها دراسة موضوعيه بعيده عن الارتجال أ، حاولت إدارتها بروح العلم الحديث
٠٠ إن هذه التساؤلات كفيله بأن تقدر زناد فكرنا للتعامل مع عالم يحس صناعه الأزمات أو
إدارتها أو تجنبها ٠

هوامش الفصل الثالث

(١) د. مصطفى علوي-التعريف بظاهرة الازمه الدوليه - مجله الفكر الاستراتيجي العربي ص
١٥٠-١٧٠-يناير ١٩٨٧م.

(٢) Coral bell: convection of crisis Autudy in diplomatic managent London
oxford university press 1971 p 134

(٣) د. عبدالرحمن رشدي الهواري-ادارة الازمه الأمنيه من وجهه النظر العسكريه-ص٥٥-
٥٧-اكاديميه ناصر لسكريه العليا - القاهرة ١٩٩٥ م.

د. عباس رشدي العماري - اداره الازمات في عالم متغير - مصدر سابق ص ٢٦

(٤) عقيد طيار عبدالله حمد سلطان - مقترح تنظيم مركز اداره الازمات لدول مجلس التعاون
الخليجي - المؤتمر الاول للاداره الازمات - مصدر سابق ص ٣

(٥) د. محسن احمد الخضري - اداره الازمات - ص ١٣ مكتبه مدبولي - القاهره - الطبعة
الثانية .

(٦) اسماعيل فهمي - التفاوض من اجل السلام في الشرق الاوسط - ص ٣٨ - مكتبه مدبولي
- القاهره - الطبعة الثانية .

(٧) د. عباس رشدي العماري - مصدر سابق - ص ٧- ص ٥٠ .

(٨) ستيفن.اي . امبروز - الارتقاء الي العالميه - ترجمه ناديه محسن الحسيني ص ١٨ -
٥٠- المكتبه الاكاديميه - القاهره - ١٩٩٤ م .

(٩) د. حسن نافع - الامم المتحدة في نصف قرن - (عصبة الامم ص ١٨-٤٣) و (كيف
تشكل التحالف الدولي المنشئ لامم المتحدة ص ٥٢-٥٨) عالم المعرفة - المجلس الوطني
للثقافه والفنون والاداب - العدد ٢٠٢ - اكتوبر ١٩٩٥ م.

(١٠) اقدمت الهند علي اجراء تجارب نوويه في ١٣/٥/١٩٩٨م افصحت بعدها باكستان انها
تدرس اجراء تجارب نوويه ردا علي ذلك ويعتبر التنافس بين الهند والباكستان احد فصول
الصراع بينهما منذ انشائها بعد ان كانتا كيانا واحد وللوقوف علي مزيد من التفاصيل حول

الاسباب التي ادت الي انفصالهما يرجي الرجوع الي كتابنا "محمد علي جناح سفير الوده وقائد الانفصال " ص ٢١ - ٧١ - الكويت - مطابع صوت الخليج - ١٩٩٧ م.

(١١) مركز الدراسات الاستراتيجيه - سريره انتاج الاسلحه النوويه - ص ٣ - ٧ - دوله الكويت - نوفمبر ١٩٩٧ م.

(١٢) الموسوعه السياسيه - ص ٦٤٥ - جامعه الكويت ١٩٩٤ م.

(١٣) عقيد طيارعبدالله حمد السلطان - مقترح تنظيم مركز اداره الازمات لدول مجلس التعاون الخليجي - مصدر سابق - ص ٢٢ - ٢٤ .

(١٤) د عباس رشدي العماري - مصدر سابق - ص ١٠٨ - ١١٠ .

(١٥) لاستزاده في هذا الموضوع يرجي مراجعه كتاب مستلزمات الردع - مفاتيح التحكم بسلوك الخصم - ديفيد جارنم - مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيه - دراسات استراتيجيه - العدد ٢ - الطبعة الاولى ١٩٩٥ .

الفصل الرابع

الكوارث والأزمات الاقتصادية

اذا كانت الازمات الأمنيه والدوليه تشكل ارقا للدول وتجعلها تحبس انفاسها انتظارا بما تسفر عنه نتائج اداره تلك الازمات ، فان دواعي الحيرة والقلق لا تقتصر علي هذين النوعين من الازمات او غيرها ، بل ان هناك نوازل تلم بالدول والمؤسسات والجماعات البشريه وغير البشريه فتحدث ارباكا في الحياه العامه والخاصه للأفراد وتجعلهم يعيشون وضعا ماساويا لا طاقه لهم به ،وتلك هي الكارثه التي سنحاول التفريق بين مفهومها وبين بعض المفاهيم القريبه منها والتي تختلط بها .

ونبدا ذلك ففقول بان الكارثه تختلف عن الحدث ، اذ ان الحدث شئ بالغ الاهميه ولا يتكرر كثيرا ، ويقع بفعل الإنسان في البيئه الطبيعيه او تلك التي اوجدها الإنسان ،ويؤثر حدوثه عكسيا او سلبيا علي الحياه البشريه و الممتلكات والنشاطات الي الحد الذي قد يصل الي التيب في الكارثه أما الظاهره فهي عبارة عن حدث ينشأ بفعل الطبيعيه وقد يكون ظاهره مناخيه او مائيه ولكنها لا تتحول إلي كارثه إلا إذا نتج عنها خسائر في الأرواح أو الممتلكات أو البيئه المحيطه فقد تحدث ظاهره طبيعيه ولكنها لتشكل تهديدا بالنسبة للبشر أو الممتلكات مثل زلزال كبير يضرب منطقه خاليه من السكان أو سيول تحدث في الصحراء أو انهيارات تحدث في المناطق الجبلية غير المسكونه أو فيضانات الأنهار ولكن الظاهره قد تتحول إلي كارثه إذا توافرت لها ظروف معينه مثل وجود بشري أو حيواني أو نباتي في موقع حدوث الظاهره خاصة إذا لم يكن هناك استعداد لمواجهتها أما نتيجة لعدم توقع حدوثها أو لوجود قصور في الإمكانيات المحليه أو علي مستوي الدوله لمواجهه الكارثه ونفرق كذلك بين الكارثه والواقعة في إن الواقعه شئ حدث وأنتهي ولم

يترك اثر كوقوع خطأ في مكون أ وحده أو نظام فرعي مثل ذلك حدوث خلل في احد الصمامات الخاصة بأنظمة احد المفاعلات النووية لكن لم يترتب علي ذلك الخلل حدوث تهديد لنظام المفاعل الكلي (١)

ومن الجدير بالذكر أن هناك علاقة تبادلية بين الكوارث والأزمات فقد يؤدي حدوث أزمة دوليه إلي وقوع كارثة بشرية فاندلاع حرب كالتي حدثت في (رواندا) بين •التوتسي واليهوتو أو كالتالي حدثت في البوسنة والهرسك بين المسلمين والصرب والكروات وبدأت بأزمات عرقية ودينيه ثم انتهت بكوارث أصابت المدنيين بالهلع وبموجات من الهجرات البشرية نتيجة لسياسة التطهير العرقي

وتكاد تلك الصورة البشعة تصاحب معظم الأزمات المحلية أو الخارجية التي تنتهي بصراعات مسلحة فما أن تدفع الأزمة الأطراف المتنازعة إلي أتون الحرب حني تخلف كوارث لا حصر لها وتحصد في طريقها القتلى والجرحى والمعاقين والتكالي والأيتام بل نجد أطفالا في عمر الورد ينشئون في ظل الحروب كالتي وقعت منذ عام ١٩٤٥م ولوجدناها تربو عن ٤٠٠ حرب - بين حروب كبيره ونزاعات محدودة - وقد أشترك في بعضها ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف طفل جنودا كميليشيات عسكريه - وفق تقديرات الأمم المتحدة - وقد أجبرت في بعضها فتيات صغيرات علي الانخراط في صفوف المقاتلين وهن يتعرض للاستغلال والاعتصاب أو تقديمهن للجنود كزوجات

ونورد في هذا المجال احصائيه حديثه قدمها الإتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر ضمن تقديره لعام ١٩٩٧م عن ابرز الكوارث التي تعصف بعالمنا المعاصرة وقد جاء فيها

- بلغ عدد اللاجئين عام ١٩٩٦م نحو ١٤٥٢٧٤٠٠ لاجئ

- بلغ عدد النازحين ضمن حدود دولهم عام ١٩٩٦ نحو ١٩١٩٥٠٠ نازح

- بلغ متوسط عدد السكان المتضررين من الكوارث خارج مناطق النزاعات نحو ١٣٦٦٨٨٤٤ متضررا سنويا خلال الربع الأخير من هذا القرن

- بلغت قيمه المساعدات الدولية الإنسانية للمنكوبين خلال عام ١٩٩٥م ما يقرب ٣٠٦٢٩٩ مليون دولار أمريكي (عدا المساعدات الغذائية التي بلغت في أنحاء العالم نحو ٩٩٠٥ مليون طن)

- وكذلك فإن حدوث كوارث كالمجاعات والفيضانات وتفجير الطائرات تجعل الوضع الدولي في حاله تأزم وترزعزع استقراره كما حدث في قضيه انفجار طائرته الركاب الأمريكية فوق منطقه (لوكي ربي) في (اسكتلندا)والتي لا تزال تداعياتها ماثله أمامنا حني بعد انقضاء فتره زمنييه علي حدوثها

وقبل الحديث عن الأزمات الاقتصادية سنقوم بتقسيم الكوارث بصفه عامه إلي نوعين رئيسيين طبقا لطبيعة مسبباتهما النوع الأول .

هي الكوارث الطبيعية التي تحدث نتيجة لتغيرات جيولوجيه مثل البراكين والتشققات الأرضية والزلازل التي تعتبر من أهم الظواهر التي تتسبب في أحداث الكوارث وذلك نتيجة لوقوعها بصوره مفاجئه تعجز أجهزه الرصد عن التنبؤ بموعدها أو مكان حدوثها بشكل دقيق بالرغم من التقدم العلمي المذهل في هذا المجال إلي جانب كوارث أكثر شيوعا وتحدث بفعل المياه مثل الانهيارات التحتية والمد والجزر البحري والسيول والفيضانات

وهناك كوارث تحدث بفعل الرياح وهي التي تعرف بالأعاصير وتختلف مسمياتها بحسب مناطق حدوثها ٠٠ كما توجد كوارث طويلة الأجل مثل المجاعات والأوبئة وكوارث احترق قصيرة الأجل نسبيا كاحتباس المطر لفترة زمنية محدده وتعتبر دول العالم الثالث أكثر تعرضا من غيرها لويلات تلك الكوارث نظرا لطبيعتها الجافة من جهة ولظروفها السياسية المتقلبة من جهة أخرى كما هو الحال في بعض الدول الأفريقية والآسيوية وهناك من الكوارث ما هو نادر الحدوث كسقوط النيازك والشهب علي الكره الارضيه

وهذه الكوارث تحدث لأسباب طبيعيه دون إن يكون للنشاط الإنساني علاقة بحدوثها وهي كوارث تتدر بخطر قد يفوق المخاطر الناتجة عن النشاط الإنساني ولا بد لنا ان نذكر في مجال التلوث الصناعي تسرب غاز "ايزوسيا نيد" من احد مصانع شركه " يونيون كاربيد" في مدينه " بوهبال " بالهند عام ١٩٨٤م واصابه مئات الالاف من الاشخاص جراء ذلك الغاز السام .

وكذلك نذكر حادثه النفط التابعه لشركه " اكسون فالديز " التي تسبب تسرب اطنان من الزيت الخام منها الي تلويت والحاق اضرار فادحه بالبيئه وتلويت اكثر ١٦٠٠ كم من شواطئ " الاسكا " (٤)

ومنها ايضا كوارث الطيران والفضاء مثل كارثة انفجر مكوك الفضاء الأمريكي " تشالنجر " ووفاه سبعة اشخاص كانوا علي متنه واهدار مئات الملايين من الدولارات التي صرفت علي برنامج اطلاقه ، وتثر ذلك علي استمراريه برامج الفضاء في الولايات المتحدة بشكل عام . وكذلك سقوط الطائرات بسبب خلل فني كسقوط الطائره الأمريكيه "بوينج ٧٣٧" التي سقطت في جنوبي كرواتيا عام ١٩٩٦م ومقتل جميع ركابها بمن فيهم وزير التجارة الأمريكي "رون براون " . او سقوط الطائرات بسبب فعل تخريبي او بسبب اختطافها كاختطاف الطائرة الاثيوبيه " البوينج ٧٦٧" وسقوطها قي المحيط الهندي بعد ان اختطفها مجهولون اثيوبيون مما ادي الي وفاه (١٢٠) من ركابها و نجاه (٥٥راكبا)

آخر ،وكان ذلك في عام ١٩٩٦م ايضا وهو العام الذي اسماه البعض عام كوارث الطائرات لكثرة عدد الطائرات التي سقطت فيه.

ومن الازمات والكوارث التجاريه والاستهلاكيه ظهور ما يطلق عليه اسم أنفلونزا الدجاج في هونج كونج عام ١٩٩٧م والذي ادي الي وفاه بعض الاشخاص نتيجته اصابتهم بذلك الفيروس المعدي والي ذغر العالم من انتشار تلك العدوي مما دفع سلطات هونج كونج الي اعدام الملايين من الدجاج • وقد سبقت تلك الكارثه كارثه اخري مشابهه في المملكه المتحده وهي ماسميت بمرض (جنون البقر) والتي أثرت علي الاقتصاد البريطاني تأثيرا مباشرا وادت الي اعدام اعداد ضخمة من الابقار •

وفي مجال الاقتصاد والاستثمار والبنوك وشركات توظيف الاموال فان كل عام يحمل معه اسما جديدا او اسماء عده لمؤسسات تعرضت لخسائر فادحه او افلاس كتلك التي حدثت لبنك الاعتماد والتجاره والذي تضررت من خسائره مؤسسات وافراد عديدون من كل الاقطار العربيه وخاصه دوله الامارت العربيه المتحده • ومنها كذلك كارثه اقتصاديه اخري حديث في دوله الكويت عام ١٩٨٢م وهي ماسميت بازمه سوق المناخ نسبه الي اسم السوق الذي كانت تشتري فيه الاسهم وتباع نقدا او عن طريق البيع الأخر مما ادي الي عجز بعض المشترين عن السداد والي عجز آخرين مرتبطين بهم عن الوفاء بالتزاماتهم الماليه بالتبعيه • ومنها كذلك الازمه الماليه التي احاقت بدول جنوب شرقي آسيا او من تسمي (النمور الآسيويه)عام ١٩٩٧م والتي نتجت عن اخطاء عده في سياستها الاقتصاديه وسوء ادارتها لديون الشركات والارتفاع المبالغ في اسعار العقارات وضعف الرقابه المصرفيه علما بأن الكوارث والازمات الاقتصاديه تصيب الدول المتقدمه كالولايات المتحده الأمريكيه وغيرها مثلما تصيب الدول الاقل تقدما وان كانت اسباب حدوثها تختلف من بلد الي آخر •

واخيرا وليس آخر نذكر الخسائر التي تحيق بقطاعات اقتصاديه متعدده نتيجته اعتماد دولها علي مورد واحد اساسي في دخلها كالبتترول او المنتجات الزراعيه او السياحه •• الخ فاذا ماحدث خلل في اداء ذلك المورد او تعرض لمحاربه او انتكاسه فإن ذلك ينعكس سلبيا علي معظم الشركات الحكوميه وغير الحكوميه المرتبطه به •

وإذا ما اردنا ان نسترسل في ذكر كوارث الشركات والمؤسسات والافراد الاقتصاديه فان يسعنا لنوفي الامر حقه كتابه كتب وليس صفحات ولكننا مررنا مرورا سريعا علي بعض تلك الكوارث لكي يمكننا تصور الحيره التي يعيشها صناع القرار - الحكوميين وغير الحكوميين - حينما تنزل بهم نازله اقتصاديه ففوق كارثه او حدوث ازمه لمؤسسه اقتصاديه يعني اهتزاز كيانه وحيره صناع القرار فيها بين رجال الصحافه والاعلام الذين يتسابقون لتغطيه الحدث والبحث عن الاسباب والمسببات وحجم الاضرار البشريه والماديه وبين القانونيين الذين يطالبونهم بالصمت

حتى لا يؤخذ مايتقوهون به كمستند ضدهم امام المحاكم عند المساءله الجنائيه هذا كله الي جانب همهم الاكبر وهو احتواء الحدث والسيطره علي الكارثه او الازمه واعاده الثقة بمؤسساتهم مره اخري سواء ثقه المستهلكين او المودعين او حمله الاسهم .

ان كل الدول والمنظمات والشركات والافراد عرضه لنوع من الاخطار التي قد تهدد الارواح والممتلكات سواء كانت هذه الاخطار كما اسفلنا - ناتجه عن فعل قوي طبيعيه او عن فعل الإنسان ، الامر الذي يتطلب ضروره التعرف علي كيفيه مقاومه هذه الاخطار للوقايه منها او التخفيف من اثارها واعاده الامور الي طبيعتها بالسرعه الممكنه . وعلي الرغم من ادراك تلك المخاطر فاننا نجد - في بعض الاحيان- قصورا في تعامل النظام الاداري او الاجتماعي مع تلك الكوارث. ويرجع ذلك الي عدم وجود استراتيجيه واضحه للشركات او الي اجراف بعضها وراء المخاطره والريح السريع او الي اهمال هنصر التنبؤ المدروس للاوضاع المحليه والعالميه ، وكذلك الي عدم توافر التكنولوجيات المناسبه او الامكانيات الملائمه او لبروز مشاكل اداريه تحول دون استخدامها بشكل مناسب عند مواجهه الكوارث الطبيعيه وتظهر هنا اهميه التخطيط للكوارث وذلك انه في ظل الكارثه تعدد الجهات والمنظمات والهيئات المحليه والاجنبيه التي قد تشترك في مواجهه الكارثه في المجتمع ،واضافه الي ذلك فان هناك العديد من المهام التي يجب القيام بها وكذلك الطاقات والموارد التي يجب تخصيصها لمواجهه الامور الطارئه التي تستجد فتؤثر علي سير الحياه جزئيا او كليا ، وفي الوقت نفسه يجب ان يكون هناك تنسيق وتكامل بين جميع الجهود المبذوله للمواجهه ،وهذا هو دور التخطيط للكوارث ، فالتخطيط للكوارث يلعب دورا مهما في تقليل الخسائر الماديه والبشريه عند وقوعها ووجود تخطيط او خطه معدة اعدادا جيدا تعتبر المفتاح الرئيسي لتقليل الخسائر التي يتعرض لها المجتمع نتيجة وقوع كارثه من الكوارث .ولا يهدف التخطيط المسبق للكوارث الي منع حدوث الكارثه في المقام الاول بل انها يهدف الي زياده فاعليه عمليه مواجهه وتقليل الاثار السلبيه للكوارث علي المجتمع والتخطيط بهذا المفهوم السابق يختلف تماما عن عمليه وضع الخطط المكتوبه للكوارث ، فلا يمكن اعتبار التخطيط علي انه عمليه مستمره لا تتوقف بل يجب تطويرها بما يتناسب مع حدوث العديد من المتغيرات والظروف العلميه والعمليه المستجده.والتخطيط المسبق لمواجهه الكوارث عبارة عن عمل منسق له مدخلاته التي تتمثل في التهديدات المتوقعه والموارد المتوافره والاحتياجات المتوقعه لمواجهه الكارثه ووضع الاولويات والاستراتيجيات المطبقه في التخطيط،كما ان لهذا العمل المنسق مخرجاته ايضا وهي الخطه الموضوعه والمناسبه لمواجهه الكوارث المتوقعه ،وهذه المخرجات(اي الخطه)يجب ان تاخذ في اعتبارها العنصرالبشري الذي يتم التعامل معه ،اما كضحيه لوقوع الكارثه او كمشارك في الاغاثه منها . وهو عنصر له انماط سلوك مختلفه ومن الصعب وضع خطه شامله تكون مقبوله من جميع افراده ، فلا يوجد شامله يمكن تعميمها بشكل مطلق علي

جميع الحالات ، بل يجب ان تراعي الخطه اختلاف المجتمع الريفي عن المجتمع الصناعي والمجتمع الصحراوي عن المجتمع المدني .

وبناء علي ذلك فان التخطيط المسبق للكارثة يمكن ان يقلل من المشاكل المتعلقة بعملية إداره الكارثة ولكن ليستطيع إغائها تماما فعاده مايكون هناك فجوه بين مآتم التخطيط له وبين ما يحدث فعلا في معظم الكوارث ومن هنا فان عملية التخطيط للكوارث تصبح مهمة جدا وذلك لأنه في ظل غياب التخطيط والاستعدادات يمكن للأحداث الصغيرة ان تؤدي إلي تأثيرات كبيره وخطره وتصبح الحوادث كوارث .

والهدف المنشود من التخطيط لمواجهه الكوارث يتمحور في القيام بعملية استقراء مستمرة للأحداث المحتملة والتي يمكن ان تؤدي إلي وقوع تهديدات وكوارث في المستقبل بغية تجنبها أو تحديد كيفية السيطرة والتغلب علي المشكلات التي تنتج عنها وذلك من خلال التدريب وتوفير الموارد المادية والبشرية اللازمة لذلك .

فكل كارثة يتولد عنها مجموعه من الاحتياجات التي يجب علي المعنيين الاستجابة لها من خلال عمليات التخطيط المسبق ومن هنا فإنه يتوجب علي المخططين والقائمين علي شئون الكوارث ان يدركوا ان عملية التخطيط المسبق تحكمها مجموعه من المبادئ العامة التي يجب العمل علي تحقيقها حيث تتحدد تلك المبادئ في التالي .

- إن يتم تكييف الخطة الموضوعة مع أنماط سلوك الأفراد في المجتمع وليس العكس .
 أن يكون التخطيط عملية مستمرة وليست نهاية تنتهي بمجرد إعدادها .

- إن يعتمد التخطيط علي توقعات دقيقة مبنية علي سلوك الأفراد في الكوارث .

- أن يعتمد التخطيط علي وضع سيناريوهات لما يمكن أن يحدث .

- إن يقوم التخطيط علي نظام اللامركزية إلي جانب المراقبة والقيادة اللامركزية .

- ونخلص من هذا إلي ضرورة وجود تكامل بين أنشطه التخطيط للكوارث وأنشطه التخطيط العادية في المجتمع فالتخطيط للكوارث يختلف عن مفهوم إداره الكوارث إذ إن التخطيط للكوارث يشير إلي الاستراتيجيه الكلية بينما تشير إداره الكوارث إلي التكتيكات التي يجب ان تتخذ في موقف معين .

- وإذا أخذنا في الاعتبار ان سلوك الإنسان الإداري والاجتماعي والاقتصادي يمكن ان يؤدي إلي تفاقم مشاكل البيئة أو تلوثها أو بسبب سوء استخدام ما هو متاح من موارد طبيعيه وبيئيه فإن الكثير من هذه الكوارث يمكن تجنبها أو علي الأقل التقليل من أثارها والاستعداد لها إذا تم تطبيق المفاهيم الحديثه في التنمية .

- مواجهه الكوارث

- إن وقوع أية كارثة يعني وضع النظام العام أي السلطة في الدولة في أزمة تحتاج إلي إليه خاصة للتعامل معها والسيطرة عليها ومعالجه ماينتج عنها من أثار والي جهد كبير في التخطيط لمواجهةها وتوقع حدوثها والتعامل معها •

- وتتطلب تلك الألية القيام بحصر الكوارث المتوقعة ومقارنتها بمثيلاتها التي وقعت في دول أخرى والاستفادة من الكفاءات العلمية القادرة علي فهم الإشارات التحذيرية وإجراء التحليلات العلمية ثم ترتيب هذه الأزمات المتوقعة بعد حصرها حسب قيمتها الاحتمالية وحجم الخسائر والإضرار ابشريه والمادية الناتجة عنها وتوفيرا لبيانات الكافية عن كل هذه الكوارث بشكل منفصل حتي تسهل السيطرة عليها • ويكون ذلك الإعداد بمثابة الركيزة التي يمكن من خلالها الإعداد المسبق للتعامل مع إيه كارثة حين وقوعها وذلك علي مستوي كافة مؤسسات الدولة •

- فإذا ماتعلق الأمر بمواجهه كارثة طبيعیه كالسيول أو الزلازل مثلا فإن الأمر يتطلب الحد من الآثار المأساوية مما يستلزم تعبئه كافة الإمكانيات تعبئه كليه وشامله لاحتوائها والسيطرة عليها وهنا تبرز أهميه الإعداد المسبق في التعرف علي أماكن ومناطق الزلازل والسيول وتحديد وتقدير مدي تعرض كل مناطق السيول للخطر وكثافة الإمطار التي تهبط عليها ثم تحديد عدد السكان والمرافق التي تخدم التنقل بصفه عامه وكذلك مرافق البنية الاساسيه من محطات مياه وصرف صحي ومحطات كهرباء ومعدات إنقاذ ومراكز الإطفاء وإعداد السيارات بها وإعداد المستشفيات والفنيين المختصين ومراكز الإسعاف وغرف العمليات وبنوك الدم •

- كما تتطلب البيانات المطلوبة توافرها أيضا تحديد الأماكن المفترضة لايوم المنكوبين من مدارس ومراكز شباب وارض فضاء يمكن استغلالها لأقامه معسكرات للإيواء العاجل عليها والخدمات المفترض توفيرها وكذلك الإمكانيات البشرية والفتيه المطلوبة الاستعانة بها وقت حدوث الكارثة من فنيين وسيارات وأجهزه لمخاطبه المنكوبين تحت الأنقاض وسيارات أعاشه ينقل إليها المصابين ومدي الاستعانة بإمكانيات المناطق المجاورة والسرعة المطلوبة لتوفير الخدمات وتحديد التوقيت الزمني التقريبي لوصول أيه سيارة أو معده من هذه الأماكن والاحتياطات المطلوب اتخاذها في حاله انهيار أو تصدع المباني ٠٠٠٠ الخ

- ومن اجل الاستعداد لمواجهه الكوارث الطبيعية وما ينتج عنها من إضرار وخسائر أو الحد من أثارها فإن الأمر يتطلب مالي •

١- علي المستوي المركزي للدولة •

ضرورة قيام كل وزاره معنية بإعداد خطه مركزيه تستند علي بيانات كاملة لكافة الإمكانيات المتاحة وماهو متطلب منها وتديبره سواء لسد العجز أو لتوفير المعدات الحديثه التي يمكن استغلالها وقت حدوث الكارثة •

- ضرورة وجود التنظيمات اللازمة بكل وزارة معينه لكي تقوم علي أداره وتنفيذ ومتابعه هذا العمل المهم والتخطيط الدائم له مع العمل علي تحديث وتعديل المعلومات والخطط .

- ضرورة وضع سبل الاتصال الدائم بين كل وزارة والجهات المختصة في كل وزارة من خلال اللجان المعينه بهذا الأمر مع تذليل المشاكل والصعوبات لكي يتم تنفيذ الخطط الموضوعه علي المستوي المحلي بأكبر قدر ممكن من الكفاءة والاداء .

٢- علي مستوي المحافظات .

- ضرورة إعداد خطط لمواجهة الكوارث وكيفية التعامل معها علي ضوء الإمكانيات المتوافرة بالمحافظة من تجهيز سيارات إطفاء وإسعاف ورافعات وعماله فنيه مدربه علي مختلف التخصصات مه الأخذ في الاعتبار مدي التأثير الذي قد يلحق بالمحافظة عند حدوث كوارث طبيعيه .

- ضرورة قيام كل محافظه بإعداد المسبق للخطط مع مراجعتها كل فتره زمنيه (ولتكن ثلاثة شهور) للتأكد من أمكانيه تطبيقها مع سلامه الإجراءات المحددة لها وأيضا لتحديث بياناتها ولإدخال مايطراً عليها من تعديلات .

- ضرورة تكوين لجان في كل محافظه تتولي مسئوليه إعداد الخطط وأدراه الازمه وقت حدوثها وتكون بمثابة حلقة الوصل بين كل من الوزارات المعنيه والمحافظات المجاورة للاستعانة بامكانياتها والتنسيق المتبادل بينهما عن طريق الاتصال بالوزارات المعنيه عند الضرورة .

بقي إن نذكر في هذا المجال إن الأمم المتحدة أنشأت عام ١٩٧٢م مكتبا لمساعدته الدول في مواجهه الكوارث ويسعي هذا المكتب إلي .

- إعداد الدراسات اللازمة للوقاية وللتنبؤ بوقوع الكوارث الطبيعية عن طريق أجهزة الرصد والتنبؤ .

- رفع مستوي التخطيط في الدول لمواجهة الكوارث الطبيعية

تنسيق المعونات الدولية لضمان وصول تلك المعونات العاجلة من الهيئات ومنظمات الاغاثة إلي الدول المنكوبة .

كما أسست منظمه يطلق عليها المنظمة الدولية الميتورولوجيه WMO لمراقبة الطقس العالمي عن طريق إنشاء نظم مبكرو لتحديد أثار السلوك الإنساني علي المناخ وضبطه ولتطوير اجهزه يمكن بواسطتها اختبار كافه المظاهر الجويه اما اذا اردنا ان نجسد معني الكارثه فإن اقرب ما يتبادر الي ذهننا في هذا المجال كارثة احراق ابار النفط الكويتية التي سنأتي علي ذكرها بشئ من التفصيل:

كارثة إحراق آبار البترول الكويتية:

حرصنا في هذا الباب علي أن نورد كارثة إحراق ابار النفط الكويتية عام ١٩٩١م لسببين : أولهما إن هذه الكارثة تاريخية لم يسبق للعالم أن شهد كارثة مماثلة لها ، وثانيهما للدلالة بمثال حي علي كارثة لم تحدث لأسباب طبيعية بل من صنع البشر

وقد بدأت قصة هذه الكارثة قبيل أن تمنى القوات العراقية بهزيمة عسكرية بعد غزوها لدولة الكويت ، حيث ان الرئيس العراقي ومعاونوه قد أعدوا للعدو العدة للإنتقام من الشعب الكويتي والعالم لأنهم قاوموا الإحتلال وأخرجوهم من الكويت عنوه بعد أن فشلت جميع الجهود الدبلوماسية لإخراجهم منها بالحسنى .

فأصدروا تعليماتهم للمهندسين العراقيين المختصين بوضع عبوات متفجرة في ابار النفط الكويتية بحيث لا يسلم أي بئر من التفجير ووضعوا لهذا الغرض شبكات موقتة مرتبطة بكل خمسة ابار مجتمعة تم توقيتها لتنفجر بعد تركيبها علي مدى - (٣-٦) ساعات ليسهل تفجير عدد هائل من الآبار في وقت قصير

نسبيا وحرصوا علي أن يكون التفجير ف الصمامات الموضوعه علي رأس الابار لأنها تتحكم في الإنتاج.

وإمعانا من القيادة العراقية في إلحاق الضرر الفادح في الابار فقد قامت بتوزيع خطة التفجير علي أفراد عديدين بحيث تتولي وحدة خاصة تفجير كل خمسة ابار حتى تكون نسبة الخطأ قليلة والتدمير أكبر ، وقد تمت عملة التفجير

أما بالكهرباء أو بالفتيل الفوري أو بفتيل متفجر ، كما قامت وحدة اخري من الجيش العراقي بزرع الألغام حول الآبار وذلك لإعاقة عملية إطفائها .

وتسببت هذه التفجيرات في إضرار النيران في أكثر من (٧٠٠) بئر نفطية مما أسفر عن ثقب ملايين البراميل من البترول فوق سطح مياة الخليج وأدي إلي حدوث كارثة بيئية لم يشهد العالم لها مثل ، حيث بلغ عدد أبار النفط اليها تي تم تفجيرها وتخريبها بشكل متعمد (١١٢٠) بئرا موزعة علي (١١) حقلا وبلغ عدد الآبار المشتعلة منها والتي كانت تنفث سمومها في الهواء (٦٣٩) بئرا وهذه كانت تشتعل بثلاثة أشكال مختلفة ، فالمجموعة الأول منها كانت تنفث نفطا دون إشتعال والثانية كانت تشتعل وتنفث دخانا أبيض والثالثة كانت تشتعل وتنفث دخانا أسود وهذا التنوع يرجع بالدرجة الأولى إلي كيميائية الإحتراق ونسبة المياة مع النفط ، أما عدد الآبار التي كانت تنزف فقط دون إشتعال فقد بلغ عددها (٤٢) بئرا بينما بلغ عدد الآبار التي تدميرها بشل كامل حوالي (٤٣٩) بئرا كما بلغت نسبة الآبار التي تم خريبها (٧٢%) من إجمالي (١٥٥٨) بئرا وهي عدد الآبار الكلية التي تم حفرها في حقول الكويت المختلفة حتى ١/٨/١٩٩٠م ، منها (٨٦١) بئرا منتجة.

هذا بالإضافة إلي الكميات الهائلة من النفط التي تم ضخها إلي مياة البحر وقد قدر الخبراء طول البقعة النفطية التي تسربت للخليج بما يقارب ٣٥ ميلا (٥٦ كم) وعرضها عشرة أميال (١٦ كم) وكانت تتحرك بإتجاه شواطئ المملكة العربية السعودية بسرعة (١٥ كم) في الساعة ، كما قدرت الكمية التي ضخحت في مياة الخليج أيضا بما يزيد علي ١١ مليون برميل نפט ، ويعد التلوث بمياة الخليج نتيجة تلك البقعة الضخمة من الزيت التي تسربت قبالة الشواطئ الكويتية أكبر تلوث من نوعية في التاريخ حتى الآن ، حيث قضي علي عدد كبير من الكائنات الحية النادرة التي لم تكن موجودة إلا في الخليج فقط .

وقد تباينت التقديرات حول حجم الضرر الذي أصاب المواطنين والبيئة بسبب حرائق النفط حيث أكد عدد من العلماء أن ما استنشقة الإنسان من هواء ملوث أثناء إشتعال الآبار يعدل في ضررة تدخين (٥٠٠) سيجارة يوميا.

وعن كثافة الدخان ذكر العلماء أن السحابة التي تكونت نتيجة الدخان المتصاعد بلغ عرضها (١٠) أميال وقد اتسعت حتى وصلت إلي (١٠٠) ميل غطت مساحات كبيرة ، وكان لها تأثير مباشر علي مناخ الخليج بصفة عامة كما أن إرتفاع السحب خلال شهر مايو ويونيو ١٩٩١م تراوح بين (١٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠) قدم ، والخطر في هذه الأدخنة المتصاعدة هو إحتوائها علي كمية من الغازات السامة ، وقد حولت هذه الكارثة بكل أبعادها سماء الكويت ومنطقة الخليج العربي بصفة عامة إلي ظلام أسود ورمادي ذي تأثير خطر علي إشعاعات الأرض علي المدى الطويل وهو الأمر الذي حزر منه الخبراء من إنعكاساته المستقبلية ليث علي الكويت فحسب بل علي منطقة الخليج وإيران والعراق نفسها والأردن وسوريا ولبنان .

وإلي جانب التلوث الفضائي كان هناك تلوث آخر تسببت فيه تلك الحرائق النفطية وهو تلوث الأرض والتربة بالزيت نتيجة الحيرت والبرك النفطية والذي كان له تأثير بالغ علي الحياتين النباتية والحيوانية والمياة الجوفية في الكويت بصورة واضحة.

وكان من بين أسباب تلوث البحيرات والبرك النفطية وجود ابار نازفة تم تفجيرها دون أن تشتعل فيها النيران مما سبب إندفاع النفط الخام من باط الأرض إلي السطح ، ووجود بعض الآبار التي إشتعلت النيران فيها من الجوانب، إضافة إلي الآبار التي تركت تنزف بعد إطفائها لفترة زمنية تمهيدا لتبريدها بالمياة.

وكان الإحتياطي الموجود من النفط الخام في الأراضي الكويتية بقدر ب(٢٠٠) بليون برميل ، وكان ما تستطيع الكويت إنتاجه هو (١٠٠) بليون برميل أي نسبة (٥٠%) وهي نسبة عالية جدا مقارنة ببعض الدول التي لا تتجاوز امكاناتها في الإنتاج نسبة (٣١%) . وقد ذكر خبراء في النفط أن حرائق الآبار نتج عنها تسرب نفطي خلال الثمانية أشهر (مدة الإحتلال) بقدر(٦) ملايين برميل يوميا يضاف إليها إنخفاض الضغط الجوفي وتسرب المياة ، وبذلك يكون تلك

الكارثة قضت علي مايترواح بين (٤-٧) سنوات من العمر الانتاجي للاحتياط النفطي الذي تملكه الكويت والذي يزيد عن مائه عام . هذا اذا مااضفنا الي ذلك توقف صادرات النفط خلال فتره الغزو والتي اسفرت عن حجب النفط الكويتي عن الاسواق العالميه وهو مايعادل حوالي (٨١٦) مليون برميل من النفط خلال (٢٠٩) ايام وهي عدد ايام الاحتلال العراقي لدوله الكويت .
 واذما مترجمت تلك الارقام الي عملات نقديه نجد ان تقدير الشركات للنفط الذي كان يحرق يوميا هو (٤٧) مليون دولار ، وقدرت كميته النفط المحترقه بما يعادل ثلث ماتستخدمه الولايات المتحده الأمريكيه يوميا حيث وصلت الخسائر الي مليار دولار كل (٧-١٠) ايام كما قدرت كميته لنفط التي تسربت للصحراء خلل (٩) شهور بـ (٩٠٠) مليون برميل ، وهي كميته تكفي لتزويد الولايات المتحده بالنفط لسنوات طويله .

وقد ساهمت مجموعه من دول العالم في اطفاء النيران والقضاء علي التلوث البيئي الذي نتج عن هذه الكارثة المروعه حيث كانت هناك مساهمات من الولايات المتحده الأمريكيه وروسيا واليابان والمانيا وفرنسا ودول اخري غيرها .

كما تم اتباع جميع الاساليب العلميه والتكنولوجيه الحديثه في اخماد النيران واطفاء الابار المشتعله وكذلك التحكم في عدم توسع بقعه النفط المتسربه الي مياه الخليج ، وذلك عن طريق توفير المياه بكميات كبيره وتوجيه تيار ماء تحت ضغط عال لاطفاء الابار المشتعله واستخدام المتفجرات بكميات كبيره وجلب الرافعات التي تم استخدامها في عمليه ردم الارض المحيطه بالبئر لتسهيل عمليه الاقتراب تدريجيا من فوهه البئر المشتعله ، وقد قدر الخبراء ان احتياجات البئر الواحد من الرمال والاتربه وصلت الي (٥٠٠) شحنه وحوالي نصف مليون غالون من المياه و(٢٠٠) معدة جاهزه للاستخدام الي جانب طاقم كبير من الفنيين والعمال ومجموعه من الاطباء .

كما تم تقسيم عمليه السيطرة علي الابار المشتعله الي ثلاث مراحل :
 الاولى : تبريد البئر والمنطقه المحيطه به عن طريق ضخ اكبر كميته من المياه بصوره متواصله تحت ضغط عال .

الثانيه : السيطرة علي النفط المتدفق بواسطه انزال انبوب من الصلب يتم دفعه ليا تجاه الانبوب لسد فوهته المشتعله

الثالثه : تركيب الصمامات النهائيه التي يتم من خلالها السيطرة علي اي تسرب نفطي او غازي .
 كما بلغ المتوسط المالي لتكاليف اطفاء البئر الواحد حوالي (٥) مليون دولار وقد وصلت التكلفة في بعض الابار الي (٢) مليون دولار حيث ان التكلفة اختلفت من بئر لآخر ، كما قدر المعدل النهائي للتكاليف التقديرية اليوميه لعمليات الاطفاء والسيطره علي الابار النفطيه المشتعله بحوالي (١,٦٦٢,٠٠٠) دينار كويتي وذلك استنادا لاجمالي التكاليف التقديرية لكافه عمليات

المكافحه والتي يمكن تلخيصها بما يلي :- ١ - تكاليف عقود الشركات المساهمه في عمليات الاطفاء بلغ (٧٥) مليون دينار كويتي تقريبا .

٢- تكاليف عقود الخدمات المسانده المباشرة بلغت (١٢١) مليون دينار كويتي تقريبا .

٣- تكاليف عقود الخدمات غيره المباشرة (٢٩٠) مليون دينار كويتي ،وبالتالي فإن مجموع التكاليف التقديرية لكافه عمليات الاطفاء والسيطره علي الابار بلغت (٤٨٦) مليون دينار كويتي تقريبا .

وقد بلغ إجمالي تكاليف اطفاء الحرائق بالاضافه الي الخسائر التي سببها تدفق البترول وهدره (١،٣) بليون دولار باستثناء الخسائر التي ترتبت عن توقف ايرادات الدوله من عمليات تصدير النفط ومشتقاته خلال فتره الاحتلال العراقي (٩) .

هذه باختصار كارثه احراق ابار البترول الكويتيه وهي كارثه تجسد مدي الضرر الذي يمكن ان يلحقه الإنسان بأخيه الإنسان وبالارض التي يعيش عليها وبالبحر الذي يستمد منه كثيرا من خيراته ، والمأساه في هذه الكارثه ان مسببها لم يستفيدوا شيئا من إشعالها الا إرضاء نزعات الشر الكامنه في نفوسهم ٠٠٠ فهل لنا في ذلك من عبره ؟

هوامش الفصل الرابع

١- د .محسن احمد الخضيرى - مرجع سابق - ص ٦٢ - ٦٣.

مجلة الهلال الأحمر - العدد ١٣ - (يناير - فبراير ١٩٩٨ م) - الكويت

٢- د . علي عبدالرزاق ابراهيم - الآثار الاجتماعية للكوارث - ص ٧ .

٣- د . سمير رجب وغريب عبدالحميد - نموذج مقترح لنظام الوقاية من كوارث البيئة الصناعية - ص ٣ - المؤتمر السنوي الأول - مرجع سابق .

٤- مجلة الثقافة العالمية - الكويت - العدد ٧٩ - نوفمبر ١٩٩٦ م .

٥- The Philippes In Crisis - Robert A Manning - Foreign Affairs - P.392 -410

Win ter 1984\85 Vol.63 No 2. Council of Foreign Relations - New Relations - New York 10021

٦- دانييل ارنولد - تحليل الأزمات الاقتصادية للأمس واليوم - ص ٢٩ - ترجمة عبد الأمير شمس الدين - بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٢ م .

٧- يرجي الرجوع في هذا المجال الي الكتاب العربي الإنسان والبيئة صراع أو توفيق ؟ والذي شارك فيه عدة كتاب (كتاب العربي - رقم ٢٦ -يناير ١٩٩٠ م .

٨- د . رشيد الحمد ومحمد السنيري ومراجعة د . ابراهيم الرفاعي - الكوارث الطبيعية - سلسلة المكتبة العلمية (١٠) الجزء الثاني - ص ١٠٢ - ١٠٣ - الكويت - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٨٦ م .

د . علي محمد الدمخي - للتاريخ كلمة ص ١١٨ - ٢٢٨ - الكويت - فبراير ١٩٩٤ م .
٩- د . جعفر عباس حاجي - آثار الغزو العراقي علي القطاعات الاقتصادية لدولة الكويت - ٢٩ - ١٥٨ - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ١٩٩٣ م .

مراجع الجزء الأول

(١) إسماعيل فهمي - التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط - مكتبة مدبولي - القاهرة - الطبعة الثانية .

(٢) السنوسي بلالة - منهج الإرهاب - دار الإنقاذ للنشر والإعلام - أمريكا - شيكاغو ١٩٩١ م .

(٣) د . احمد ابراهيم بخيت - الكوارث والإستعداد لمواجهتها والتخفيف من أثارها - المؤتمر السنوي الأول لإدارة الأزمات - جامعة عين شمس - القاهرة أكتوبر ١٩٦٦ م .

(٤) لواء أحمد ضياء الدين - إدارة الأزمات الأمنية - المؤتمر السنوي الأول - جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٦٦ م .

(٥) أمين هويدي - إدارة الأزمات في ظل النظام العالمي المروغ - مجلة السياسة الدولية - العدد ١١٢ - مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية - الأهرام القاهرة .

(٦) آلان بونيه - الذكاء الاصطناعي واقعه ومستقبله - ترجمة د . علي صبري فرغلي - عالم المعرفة - العدد ١٧٢ - الكويت ابريل ١٩٩٣ - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

(٧) د . جعفر عباس حاجي - آثار الغزو العراقي علي القطاعات الاقتصادية لدولة الكويت - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ١٩٩٣ م .

(٨) د . حسن نافع - الامم المتحدة في نصف قرن - عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - العدد ٢٠٢ - أكتوبر ١٩٩٥ م .

(٩) خالد قدرى السيد - التخطيط لمواجهة الكوارث المؤتمر السنوي الاول - جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٩٦ م .

(١٠) دانييل ارنولد - تحليل الازمات الاقتصادية للأمس واليوم - ترجمة عبد الأمير شمس الدين - بيروت - المؤسسه الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٢ م .

- (١١) ديفيد جارنم - مستلزمات الردع - مفاتيح التحكم بسلوك الخصم - مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجيه - دراسات استراتيجيه - العدد ٢ - الطابعه الاولى ١٩٩٥ م .
- (١٢) د . رشيد الحمد ومحمد السنيري - ومراجعة د . ابراهيم الرفاعي - الكوارث الطبيعيه - سلسلة المكتبه العلميه (١٠) الجزئ الثاني - الكويت - مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .
- (١٣) ستيفن . أي . امبروز - الإرتقاء الي العالميه - ترجمة ناديه محسن الحسيني - المكتبه الاكاديميه - القايره ١٩٩٤ م .
- (١٤) سمير احمد السيد - لويس كامل بشاري - الكوارث الطبيعيه وكيفية مواجهتها - المؤتمر السنوي الأول لأدارة الأزمات - جامعة عين شمس - القايره ١٩٩٦ م .
- (١٥) د . سمير رجب وغريب عبد الحميد - نموذج مقترح لنظام الوقايه من كوارث البيئه الصناعيه - المؤتمر الثانوي الاول - جامعة عين شمس - القايره ١٩٦٦ م .
- (١٦) صالح محمد حسني الحملوي - دور نظم المعلومات ونظم الخبره وتدعيم قرار الازمات في الصناعه المصرفيه - المؤتمر السنوي الاول لادارة الازمات - جامعة عين شمس - القايره ١٩٦٦ م .
- (١٧) عادل السالوس - اسرائيل والقرار السياسي في السياسه الخارجيه - مجلة السياسه الدوليه - العدد (٥٧) - يوليو ١٩٧٩ - الاهرام - القايره
- (١٨) د . عباس رشدي العماري - ادارة الازمات في عالم متغير - مركز الاهرام للترجمه والنشر - القايره ١٩٩٣ م .
- (١٩) د . عبد الرحمن رشدي الهواري - ادارة الازمات الأمنيه من وجهة النظر العسكريه - اكاديميه ناصر العسكريه العليا - القايره ١٩٩٥ م .
- (٢٠) عقيد طيار عبدالله حمد - مقترح تنظيم مركز ادارة الازمات لدول مجلس التعاون الخليجي - المؤتمر السنوي الاول لادارة الازمات - جامعة عين شمس - القايره ١٩٩٦ م .
- (٢١) د . علي عبد الرازق ابراهيم الاثار الاجتماعيه للكوارث - المؤتمر السنوي الاول لادارة الازمات - جامعة عين شمس - القايره ١٩٩٦ م .
- (٢٢) د . علي محمد الدمخي - للتاريخ كلمه - الكويت - فبراير ١٩٩٤ م .
- (٢٣) لواء د . عمر حسن عدس ولواء د . احمد ضياء الدين - ادارة الازمات الأمنيه - بحث مشترك - مطبعة كلية الشرطه - القايره ١٩٥١ / ١٠٠٦ م .
- (٢٤) د . فاروق عمر العمر - صناعة القرار والرأي العام - الطابعه الاولى - الكويت ١٩٦٦ م - ص ب ٢٥٠٣ - رمز ١١١٤٣٠٢٦ .
- (٢٥) د . فاروق عمر العمر - محمد علي جناح سفير الوحده وقائد الانفصال - الكويت مطابع صوت الخليج - ١٩٧٧ م .

- (٢٦) لواء ماهر جمال الدين - التخطيط لادارة الكوارث - المؤتمر السنوي الاول - جامعة عين شمس - القاهرة - ١٩٩٦ م .
- (٢٧) مجلة الثقافه العماليه - الكويت - العدد - (٧٩) نوفمبر ١٩٩٦ م .
- (٢٨) مجلة الهلال الاحمر - العدد ١٣ - (يناير - فبراير ١٩٩٨ م) الكويت .
- (٢٩) د ، محسن العبودي - نحو استراتيجيه علميه في مجال اداره الازمات - دار النهضه العربيه - القاهرة ١٩٩٣ م .
- (٣٠) د . محسن حمد الخضيرى - اداره الازمات - سلسله محاضرات الامارات - مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيه ١٩٩٧ م .
- (٣١) محمد رشاد الحملاوي - اداره الازمات تجارب محليه وعالميه - مكتبه عين شمس ٤٤ شارع القصر العيني - القاهرة - الطابعه الثانيه ١٩٩٥ م .
- (٣٢) مذكرات وزارة الخارجية الأمريكيه - مجلة الوطن العربي - باريس العدد ١٠٦٨ - ١٩٩٧/١٨١٢٢ م .
- (٣٣) مذكرات الدراسه الاستراتيجيه - سرية انتاج الاسلحة النوويه - دولة الكويت - نوفمبر ١٩٩٧ م .
- (٣٤) د . مصطفى علوي - التعريف بظاهرة الازمه الدوليه - مجلة الفكر الاستراتيجي العربي - يناير ١٩٨٧ م .
- (٣٥) الموسوعه السياسيه - جامعة الكويت ١٩٩٤ م .
- (٣٦) كتاب العربي الإنسان والبيئه صراع او توافق ؟ والذي شارك فيه عدة كتاب (كتاب العربي - رقم ٢٧ - يناير ١٩٩٠ م) .